# الأحزاب السياسية في الإسلام

الدكتور محمود محمد سلامة

مدرس الفلسفة الإسلامية

كلية الدراسات العربية - جامعة المنيا

الناشر

مكتبة القدس

صنعاء - ميدان القاع

١٩٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

## تمهيد :

أصبح من التقليد الشائع لدى غالبية الباحثين القدماء، وربما يجاريهم فى ذلك بعض المحدثين ألا يميزوا بين الحزب والفرقة، بل يطلقون على من اختلفوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى امتداد التاريخ الإسلامى بحيث اصبح لكل منهم مبادئه وأسسه، وأصبحوا طوائف شتى متناخرة أو متحاورة اسم (الفرق) وذلك دون التمييز بين ما كان أصل منشأ الطائفة أو الجماعة سياسيا أو عقديا. فالبغدادى مثلا يسمى كتابه (الفرق بين الفرق) ومع ذلك يجمع فيه بين الطوائف ذات الطابع السياسى والطوائف ذات السمة العقدية، وبالمثل فعل الشهرستانى فى كتابه (الملل والنحل) وجاراه فى ذلك أيضا ابن حزم فى كتابه (الفصل بين الملل والأهواء والنحل) ويمكن أن يقاس على ذلك كثير غيرهم ممن تحدثوا عن طوائف المسلمين من أصحاب المقالات مثل الأشعرى والرازى، وغيرهم.

وربما كان الاختلاط بين الجانبين أساسه اعتقاد الناس في تلك العهود أنه لا فرق بين الدين والسياسة، خاصة أن صاحب الدين وهو النبى صلى الله عليه وسلم كان فى نفس الوقت صاحب الدولة فهو مؤسسها وهو رئيسها.

ولعل السبب أيضا فى ذلك راجع إلى أن بعض أصحاب الإتجاهات السياسية من الطوائف الإسلامية، وقد حولوا بعض المبادئ السياسية إلى

مبادئ عقدية، وبلك اضطروا إلى تكفير المخالفين لهم، ودخلوا بذلك فى مناقشات تتصل بالعقيدة، بذلك تداخلت القضايا السياسية والقضايا العقدية، وأصبح الباحث لا يكاد يدرك الفارق بين هذه وتلك.

وقد يكون هذا المزج بين ما أصله سياسى، وما أصله عقدى بسبب أن إطلاق (الحزب) كمصطلح على مجموعة من الناس ذات الإتجاه السياسى المعين، لم يكن معروفا فى القديم ، بل كان ذلك وليد العصور الحديثة، لاسيما بعد انتشار الديمقراطيات، ونظم الحكم النيابية . ومن ثم كانت الفرقة هى المصطلح الأفضل، إستنادا إلى الحديث الذى تناقلته كتب الفرقة والمقالات فى بداياتها، باعتباره نبوءة من النبى صلى الله عليه وسلم، والذى يقتضى ان الأمة الإسلامية ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة والباقية فى النار ، ويحاول صاحب كتاب (الفرق بين الفرق) توثيق هذا الحديث ، فيعدد الصحابة الذين رووه عن الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، ويبرر الشهرستانى حصر الفرقة الناجية فى واحدة تبريرا عقليا ونقليا فيقول "ولا يجوز ان تكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرائع التقابل، الا وان تقتسما الصدق والكذب، فيكون الحق فى إحداهما دون

(١) البغدادى: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد زاهد الكوثرى، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ١٠، ١١.

الأخرى، ومن المحال على المتخاصمين فى أصول المقالات بأنهما محقان صادقان، وإذا كان الحق فى كل مسألة عقلية واحدا، فالحق فى جميع المسائل يجب أن يكون مع فرقة واحدة، وإنما عرفنا هذا بالسمع، وعنه أخبر جبريل فى قوله عز وجل (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)[١] "[٢].

وبناء على ذلك فقد حاول مؤرخو الفرق أن يكون عددها ثلاثا وسبعين حتى تجئ مطابقة للحديث، فعل ذلك البغدادى، والشهرستانى، وابن الجوزى فى (تلبيس إبليس) وغيرهم، ومع ذلك فقد زاد عدد الفرق التى عرضها هؤلاء وغيرهم على هذا العدد، ولذلك حاول الرازى ان يوفق بين الحديث وبين الواقع الملموس للفرق، فذكر أن العدد المذكور مقصود به الفرق الكبار، أو أن تحديد هذا العدد بأنه دليل على أنه لا يجوز أن يكون عددها أقل من ذلك، وإن جازت الزيادة[٣].

* * *

وبالرجوع إلى الواقع التاريخى، والسياق الفكرى لهذه الطوائف التى

---

(١) الأعراف : ١٨١.

(٢) الشهرستانى: الملل والنحل، القاهرة، الحلبى، ١٩٦٨، جـ١، ص ١١.

(٣) الرازى : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق الدكتور على سامى النشار، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٨، ط ٧٤، ٧٥.

أطلق عليها المؤرخون اسم الفرق، نجد انه من المقبول والمعقول أن هناك فارقا واضحا بين ما كان اصل منشئه ذا طبيعة سياسية وما كان الدافع إلى قيامه الأفكار العقدية.

**فالنوع الأول** أدلى برأيه فيما ينبغى على المسلمين أن يتوخوه فى مسيرتهم التاريخية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للمؤسسات السياسية للدولة. أما النوع الثانى، فقد أدار مناقشات حول بعض الأمور العقدية، دفاعا عنها فى وجه الخصوم، أو ترسيخا لها وتثبيتا فى نفوس المسلمين.

ومن هنا فمن الأجدر أن يكون (الحزب) هو المصطلح الذى ينبغى أن يطلق على الطائفة التى انتهجت نهجا سياسيا فى أرائها من حيث الإمامة وجوبا او عدم وجوب، وإذا كان الوجوب فمن الذى يتحمل هذا الوجوب هل المسلمون أم الله صاحب الشرع والدين؟. وما الشروط التى ينبغى توافرها فيمن يتولى هذا المنصب؟ وإذا كان الوجوب على المسلمين، فما الشروط التى ينبغى توافرها فى هؤلاء المسلمين، هل كل أحد منهم أم جماعة موصوفة لها سماتها المحددة؟. وإذا كان الاحتمال الأخير، فما أقل عدد يصلح أن يختار الإمام؟ وهكذا.

أما (الفرقة) فإن الأولى أن تطلق على الطائفة التى تتبنى مبادئ عقدية

معينة من حيث صفات الله، وكيفية البرهنة على وجهة نظرها، وكعلاقة الإنسان بالفعل الإلهى وعلاقته بالفعل الإنسانى، وكقضية النبوات... وما إلى ذلك من المباحث الكلامية الخالصة التى تتصل بالعقيدة.

فالشيعة والخوارج مثلا يعتبران حزبين، لأنهما ظهرا على المسرح سياسيا لا عقديا، وإن ألبسا السياسة طابع العقيدة، لأن السبب الحقيقى وراء تأسيسهما كان بسبب الاختلاف حول الخلافة، أما المعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية مثلا فإنها تعتبر فرقا كلامية، إذ إن قيام هذه الفرق كان بسبب الاختلاف حول مبدأ أو عدة مبادئ من مبادئ العقيدة، وخير برهان على ذلك أننا نجد إماما من أئمة الشيعة مثل الإمام (زيد) رأس الحزب الشيعى الزيدى، ذى المبادئ السياسية المحددة بالنسبة لمن هو أحق بالإمامة، يتتلمذ على مؤسس فرقة المعتزلة الكلامية، مع أن رأى واصل بن عطاء السياسى مخالف لما عليه الإمام زيد، وبذلك صارت عقائد الشيعة الزيدية من الناحية الكلامية أقرب إلى الاعتزال، مع أن كثيرا من المعتزلة يخالفون الشيعة عموما والزيدية خصوصا فى مسألة الإمامه، على الأقل فى مصدر وجوب نصب الإمام، فجمهور المعتزلة يرون وجوب الإمامة عقلا لا شرعا وبعضهم يرون وجوبها شرعا وعقلا، والشيعة يرون وجوبها عقلا لا شرعا، وهذا اختلاف فى المنهج بطبيعة الحال.

ولعل محاولة بعض المعتزلة الذين التفوا حول المأمون، وأقنعوه بأن

يتبنى آراءهم الكلامية، ومع ذلك حملوه على أن يختار لولاية عهده أحد أئمة الشيعة، وهو الإمام (على بن موسى الرضا). أقول هذه المحاولة كان الهدف منها خلط الآراء الساسية بالآراء الكلامية ما دامت تصادم الخط العربى الذى كان ضد الخط الفارسى .

فالحزب إذن ينبغى أن يكون سياسيا، وإن خالطه بعد ذلك من الآراء ما يتصل بالدين والعقيدة، والفرقة كذلك ينبغى أن تكون كلامية، وإن خالطها بعض الإتجاهات السياسية.

وتبقى بعد ذلك حركات - ظهرت فى فترة مبكرة من تاريخ الاسلام- لا يمكن الجزم بأنها كلامية بصفة رئيسية، ولا سياسية بصفة رئيسية، بل هى بين هذا وذاك، فلا هى بالحزب ولا هى بالفرقة. ولكنها لا تعدو أن تكون حركات فردية، ذات أهداف شخصية تحاول أن تستقطب حولها أكبر عدد من الناس طمعا فى رياسة أو طمعا فى ضرب المجتمع الإسلامى لحساب جهات خارجية أو بدوافع من أحقاد قديمة، وترات عرقية، غير أنها فى النهاية لا تعبر عن ملامح سياسية معينة، أو سمات عقدية محددة، ولذلك ارتبطت مثل هذه الحركات فى الغالب بأسماء زعمائها، ولكنها تلاشت بعد وفاتهم، وتحول كثير من أفرادها إلى موالاة شخصيات جديدة، أو مذاهب أخرى، أو اتجاهات سياسية مختلفة، وبطبيعة الحال، كانت الافكار التي يحملها هؤلاء تنتقل معهم إلى حيث يحطون رحالهم فى غضون الطائفة الجديدة التى

انضموا اليها، سواء أكانت طائفة كلامية ذات مشرب سياسي، أو حزب سياسى ذا طابع كلامى، ويمكن أن يكون مثالا لهذه الحركات فى هذا الصدد، عرف عن السبئية، أو الكيسانية، أو البيانية، أو الجهمية، أو الخطابية، او المنصورية. التى كانت عبارة عن مجموعات صغيرة التفت حول شخص معين غلب عليه الطابع الكلامى أو الطابع السياسي.

ولأن الأحزاب السياسية الإسلامية كان اساس ظهورها وتطورها راجعا إلى الاختلاف حول الإمامة أو الخلافة، أى حول أى الناس أحق بها، ومصدر هذه الأحقية، فإنه كان من الأوفق البدء بالحديث عن مشكلة الإمامة أو الخلافة تاريخيا وفكريا حتى يمكن بيان هذا الاساس، وتقويمه ووضعه فى اطاره الصحيح، خاصة أن الخلافة أو الإمامة تعود مرة ثانية فى عصرنا لكى تشكل بعض التيارات السياسية والحركات التى بدأت تأخذ طابع الثورة أو طابع التمرد، وبذلك تضفى بظلها من جديد، وتتمثل أمام اتجاهات سياسية معينة على أنها المثل الاعلى الذى ينبغى احتذاؤه، ومقاومة أى شكل من أشكال الحكم الراهن.

ولذلك كان الفصل الأول وهو الفصل التالى لهذا التمهيد مكرسا للحديث عن الإمامة والخلافة كمنطلق للحديث عن الاحزاب السياسية الإسلامية.

والفصل الثانى مخصص للأحزاب التى تعتبر السلطة فى أيدى الأمة مثل أهل السنة والخوارج والزيدية.

والفصل الثالث يبحث حول الأحزاب التى تنادى بالسلطة الإلهية، وتنفى السلطة البشرية.

# الفصل الأول

# الخلافة

# سلطة بشرية أو إلهية

## ١ - موضوعات الرسالة الإسلامية :

ان القارئ للقرآن الكريم، المتدبر لمعانيه يجد أنه يدور حول ثلاثة موضوعات رئيسية، هى التى كانت الهدف من تبليغ الرسالة إلى الناس أجمعين، وبها يسعدون فى دنياهم وآخرتهم إذا ما قبلوها، وعملوا بها وبلغوها إلى غيرهم.

وهذه الموضوعات الثلاثة علمية، وعملية، وسلوكية.

فالعلمية هى العقيدة الإيمانية التى ينبغى على كل إنسان أن يعقد قلبه عليها، تصديقا واعتقادا، ومن أجل ذلك سميت عقيدة، لعقد القلب عليها، وعدم انفكاكه عنها إذا داخلته وخالطته.

والعملية هى الشريعة أى النهج الواقعى العملى الذى على من آمن بالعقيدة أن يطبقها فى حياته، ويتخذها طريقا لممارسة دنياه حتى تظل هذه الدنيا وثيقة الصلة بالله، وتنعكس هذه الممارسة على الإنسان راحة وطمأنينة.

أما السلوكية، فهى الصفات المثلى التى يتحلى بها من قبل العقيدة ومارس الشريعة.

وقد أطلق المفكرون على الموضوع الأول اسم (الأصول) وعلي الموضوع الثانى اسم (الفروع) ، وعلى الموضوع الثالث اسم (الأخلاق).

* * *

وسيتركز البحث هنا علي الموضوعين الأولين، إذ هما اللذان دار حولهما النقاش والجدال، وبسبب ما دار حولهما من نقاش وجدال ظهرت الحزبية فى المحيط الإسلامى، وتمحورت مجموعات معينة حول كل حزب، وبنيت المبادئ الحزبية، وتبادل الأطراف النزاع الفكرى تارة، والتراشق الحربى تارة اخرى.

أما الموضوع الثالث فلا خلاف حوله إلا فى الطرق التى ابتكرها أصحابها فى سبيل ممارسة الأعمال التى توصل إلى التحلى بالاخلاق الكريمة، بحيث لا يتحول الدين إلى مجرد شكليات من أداء الطقوس والشعائر، بل يطابق الفكر العمل، ويواكب العمل الظاهرى ما يعتلج فى القلب من خلجات، فيصبح الإنسان ممثلا التمثيل الحق لخلافة الله فى أرضه، ومن ثم يتخلق بأخلاق الله، فكان بحث مثل هذه النواحى بعيدا عن الحزبية السياسية التى هى أقرب إلى التسلط والتعالى منها إلى التواضع والإخلاص. وقد عرف هذا النوع من البحوث اسم التصوف.

٢ - **العقيدة :**

وأول ما بعث به الرسول صلى الله عليه وسلم هو العقيدة التى هى عبارة عن حقائق يجب أن يؤمن بها الإنسان، وقد اطلق عليها الباحثون مصطلح (الأصول) التى لابد للمرء ليكون مؤمنا أن يقبلها ويعتنقها، ويعقد قلبه عليها وهى لا تحتمل التعدد فى وجهات النظر، بل إما أن يكون الإنسان

مؤمنا وإما أن يكون كافرا دون أن يوجد بين هذين الطرفين من يمكن ان يكون اقرب الي الايمان، أو اقرب إلى الكفر "قال بعض المتكلمين الأصول معرفة البارى تعالى بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم، وبيناتهم، وبالجملة كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهى من الأصول، فمن تكلم فى المعرفة والتوحيد كان أصوليا"[١] ومعنى ذلك إنه يجب أن يكون الخلاف على أي مبدأ من مبادئ العقيدة بين فريقين فيكون الحق مع أحدهما، والباطل مع الآخر، وليس هناك حل وسط.

والأصول الإسلامية تستمد من القرآن الكريم، ومن السنة التى هى عبارة عن شرح وتفسير له.

والاصول أو العقائد الاساسية فى الإسلام هى الإيمان بالله، وبرسله، وملائكته، وبكتبه، وباليوم الآخر، وبالقدر.

فالايمان بالله يعنى أنه سبحانه وتعالى هو وحده الخالق، وأنه وحده المعبود فلا خالق غيره، ولا معبود سواه قال تعالى "قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين"[٢]، وقال : " قل إن صلاتى ونسكى ومحياى

---

(١) الشهرستانى: الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة، الحلبى، جـ١، ص ٤١.

(٢) الأنعام / ١٤.

ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شئ"[(١)].

والإيمان بالرسل يعنى إن الله عز وجل قد اختار من بين البشر أناسا أرسلهم إلى البشر يدعونهم إلى الدين القيم، وعلى المؤمن أن يعتقد بأن الله أرسل هؤلاء الرسل الذين ذكرهم الله فى القرآن الكريم تفصيلا، وبأنه أرسل رسلا لم يذكرهم".

والإيمان بالملائكة معناه أن يقبل المسلم التصديق بأن لله عبادا مكرمين، لم نرهم ولكن الله وصفهم بصفات معينة مذكورة فى القرآن وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون"[(٢)].

والايمان بأن الله أنزل على رسله كتبا ليبلغوها إلى الناس فيجب على المسلم الإيمان بالزبور الذى أنزله الله على داود، وبصحف ابراهيم، وبتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وقرآن محمد.

والإيمان باليوم الأخر واجب على كل مسلم، حيث يبعث الناس من قبورهم ليحاسبوا على أعمالهم فى الدنيا، فيثابون أو يعاقبون، فإما إلى

---

(١) الأنعام/ ١٦٣-١٦٥.

(٢) التحريم/ ٦.

الجنة، وإما إلى النار قال تعالى " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون"[١].

وأخيرا يجب الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، فالكل منه سبحانه وتعالى، وما يبدو شرا قد يكون فى حقيقته خيرا، والبشر لا يدركون إلا الظواهر، أما حقائق الأمور، فهى راجعة اليه وحده "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول"[٢].

وكما سبق القول كانت السنة شارحة للكتاب فى هذا المجال فقد روى مسلم عن ابن عمر ، وعن أبى هريرة واللفظ لعمر قال " بينما نحن عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ذات يوم، إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، قال: يامحمد، أخبرنى عن الاسلام، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد الا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا، قال :صدقت، قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه، قال: فأخبرنى عن الايمان،

---

(١) المؤمنون : ١١٥.

(٢) الجن/ ٢٦.

قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.." الحديث.

وإجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل عن الاسلام تحدد الشروط التي بها ينضوى الإنسان تحت لواء المجتمع الإسلامى، من حيث الظاهر بصرف النظر عما يعقد القلب عليه، أما اجابته على سؤال الإيمان فإنها تضع الشروط التى بها يتعامل الإنسان مع ربه فقد قيل " لنا الظاهر والله يتولى السرائر".

٣ - **الشريعــة :**

لا شك ان الأمور السابقة التى عرضت عن العقيدة الإسلامية تتصل بالإدراك العقلى الروحى، فالجانب الإنسانى إزاءها لا يبذل مجهودا عضليا أو ينفق أموالا، وبالجملة لا يؤدى عملا ماديا ملموسا مدركا بواسطة غيره من الناس، بل أن النشاط الأنسانى فيه نشاط داخلى يتصل بالعقل والروح والوجدان، ومن ثم كان تكليف الله للإنسان بالنسبة للعقيدة، تكليفا علميا مع تنوع وسائل هذا العلم فهو علم قلبى، عقلى روحى وجدانى، انه اشبه بتشبع الشاعر بموضوع تجربته الشعرية التى تأخذ عليه نفسه من جميع اقطارها.

أما الجانب الآخر الذى كلف به العبد، فهو مختلف عن النوع السابق، وإن لم يكن مقطوع الصلة به، ونعنى به الجانب العملى، وعدم انبتاته عن

الجانب الايحائى يتمثل فى أنه عبارة عن ترجمة له وتعبير عن حقيقته، إذ الجانب الأول خفى إلا عن صاحبه بينما الجانب الثانى ظاهر يدركه الأغيار. فالاسلام يحتم تعانق الشريعة والعقيدة، بحيث لا تنفرد إحداهما عن الأخرى، على أن تكون العقيدة أصلا يدفع الشريعة، والشريعة تلبية لانفعال القلب بالعقيدة(١)

وقد اصطلح الباحثون على إطلاق اسم الشريعة أو الفروع على هذا الجانب، إذ هى عبارة عن الأعمال التى تقرب الإنسان من ربه، وتزكى علاقته به، وهى عبارة عن الأعمال التى تحفظ مصالح المسلمين، وتدفع الضرر عنهم فيما بينهم وبين أنفسهم، وفيما بينهم وبين غيرهم من غير المسلمين.

والشريعة على هذا النحو تشمل مجالات كثيرة هى : العبادات، والمعاملات، والعقوبات. ونظام الحكم.

١ - العبادات : هى الصلاة والزكاة، والصوم، والحج، وهذه العبادات الأربع، مع نطق بالشهادتين هى قوام الاسلام، فإذا ما واكبت ما يعتمل داخل الإنسان، وصدقته وأيدته، اكتمل الاسلام والايمان لأن هذه العبادات من شأنها أن تكون انعكاسا لما فى القلب وتثبيتا

---

(١) الشيخ محمد شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة، القاهرة ، الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر، ١٩٥٩، ص ٧ .

وتأييدا للروح، وتزكية للنفس، ودفع للمسلم إلى مزيد من التقدم والترقى فى كلا الجانبين الظاهر والباطن.

٢ - المعاملات: وهى تشمل نظام الأسرة من زواج وما يدخل تحته من أحكام مثل الخطبة، والعقد، والمهر، والشهود، والنفقة، والمسكن وحسن المعاشرة، وتحكيم حكمين عند الخلاف، ورعاية الأولاد، والطلاق، وأحكامه وأنواعه وما يترتب عليه من حقوق. وتشمل المعاملات نظام الوصية والمواريث، والتعاملات المالية والمبادلات التجارية.

٣ - العقوبات : وهى عبارة عن الأحكام التى تختص بارتكاب الجنايات.

٤ - أما نظام الحكم فقد بحث العلماء السابقون هذا الموضوع على أنه تابع للشريعة. وسيتم تناول هذه القضية بعد ذلك. على أية حال، فإن هذا الموضوع يعنى أن يكون للمسلمين نظام سياسى يجمعهم فى شكل دولة لها قواعدها وأسسها، وموظفوها وأقسامها، ومن أخص خصائص هذا النظام الشورى، فى تقرير أمور المسلمين، واتخاذ القرارات المناسبة لصالحهم، ودفع المضار عنهم. وقد تحدث القرآن الكريم عن الشورى وما لها من أهمية فى بناء الدولة الإسلامية بناء محكما ، ولذلك قرنها بعدة صفات يتصف بها المجتمع المسلم الذى إذا ما تمسك بها كان ذلك بمثابة إيذ ن لسعادته فى الدنيا والآخر، قال تعالى: " وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون،

والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون، والذين إذا اصابهم البغى هم ينتصرون"[١]. وقال فى مجال آخر:" فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر"[٢].

وإقامة الأمة على هذه الأسس الراسخة تقتضى أن يكون لها إمام أو حاكم أو رئيس أو خليفة يسوسها، ويرعى شئونها ، وينظم أحوالها ويقودها إلى تحقيق الهدف من انشائها.

ولهذا فاختيار الإمام من المفروض ان يكون مبنيا على اهم اسس الأمة الإسلامية وهو (الشورى) ويكون اختياره بهذه المثابة تعبيرا عن اخلاص كل فرد من أفراد الأمة لنفسه ولمجتمعه، ولربه.

ويجب أن يلاحظ أن هذه العناصر التى سبق الحديث عنها، والتى أطلق العلماء عليها اسم (الشريعة) أو (الفروع) إذا ما تركها المسلم يعتبر عاصيا، لا كافرا، بل تظل صفة الإسلام لاصقة به لا يحق لأحد انتزاعها، ما دام قد نطق بالشهادتين على شريطة أن يكون قلبه معقودا علي الإيمان

---

(١) الشورى /٣٦، ٣٧، ٣٨.

(٢) آل عمران/١٥٩.

بوجوب هذه العناصر، غاية ما هناك أنه لم يمارسها لسبب أو لآخر، أما إذا انكر وجوبها ، فإنه فى هذه الحالة يعتبر خارجا عن الملة، لانه ينكر وجوبها، كما ذكره القرآن والسنة، وبذلك يكون منكر للقرآن والسنة، وهى من الحقائق الإيمانية التى إذا لم يعتنقها الإنسان كان كافرا.

## ٤ - الاختلاف حول العقيدة والشريعة :

### أولا - العقيدة :

لم يكن من المعقول أو المقبول أن يحدث أى اختلاف بين المسلمين حول أصول العقيدة، والرسول صلى الله عليه وسلم مازال بين أظهرهم، إذ هو المرجع لهم فيما يحدث من أمور تخالط العقل أو تخامر القلب بالنسبة للعقائد الإسلامية بوجه خاص، وفى مختلف شئونهم بوجه عام.

لم يختلف أحد حول الايمان بالله، أو حول علاقة الإسلام بالايمان، لأن القرآن كان اسبق من الخلاف في ذلك إذ يقول" قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم[١]". وكل ما كان هناك من خلاف حول الايمان، إنما حدث بين المسلمين والكفار، وهذا شئ طبيعى.

---

(١) الحجرات/١٤.

وينسحب هذا الحكم على سائر العقائد الايمانية، لأنها معلومة من الدين بالضرورة، ولأن الأدلة النقلية تترى وحيا من الله ، والرسول كفيل بتفسيرها وتوضيحها، وهذه الأدلة قطعية الورود قطعية الدلالة، ومعنى كونها قطعية الورود انتفاء أية شبهة فى ثبوتها عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالى عن الله عز وجل، ومعنى كونها قطعية الدلالة، انها نصوص محكمة الدلالة على العقيدة، ومعنى ذلك أنها لا تحتاج إلى التأويل، والدليل النقلى إذا كان بهذه المثابة، أفاد اليقين، ويثبت به العقيدة يقول سعد الدين التفتازانى" والحق أن الدليل النقلى قد يفيد القطع، إذ من الأوضاع ما هو معلوم بطريق التواتر كلفظ السماء والأرض، وكأكثر قواعد الصرف والنحو فى وضع هيئات المفردات، وهيئات التراكيب، والعلم بالإرادة يحصل بمعونة قرائن، بحيث لا تبقى شبهة، كما في النصوص الواردة فى ايجاب الصلاة والزكاة، ونحوهما وفى التوحيد والبعث، إذا اكتفينا فيهما بمجرد السمع، كقوله تعالى (قل هو الله أحد)، (فأعلم أنه لا إله الإ الله)، (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)[١]".

(١) سعد الدين التفتازانى: مقاصد الطالبين فى علم أصول عقائد الدين بشرح بعض الفضلاء، طبعة استنبول ، مطبعة الحاج محرم أفندى البستوى، ١٣٠٥هـ.

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم حريصا على عدم أثارة أية مشكلة تتصل بهذه الأصول، فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه يوما، وهم يتناقشون فى القدر، فظهر الغضب فى وجهه ثم قال: "أبهذا أمرتكم؟. أم بهذا أرسلت إليكم، إنما هلك من كان قبلكم حينما تنازعوا فى هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه".

ولم يكن فعل النبى صلى الله عليه وسلم هذا حجرا على العقول، حينما نهاهم عن الخوض فى مثل هذه الامور، ولكن كان الهدف من ذلك هو الحرص على تثبيت العقيدة النقية فى النفوس، سليمة من التشويش، والبلبلة، وصرف المسلمين إلى ما فى وسعهم القيام به، وهو الدفاع عن المجتمع الإسلامى الناشئ ضد الخطر المحدق، المتمثل فى تهديد مشركى مكة له من جهة، وفى بقية القبائل المتربصة لما سيسفر عنه الصراع بين المسلمين وأهل مكة من جهة أخرى.

أجل لقد أثيرت مسائل كثيرة منهى عن إثارتها والاختلاف حولها فى هذا العهد، ولكنها لم تثر بين المسلمين بعضهم البعض، بل إن الذين أثاروها هم اعداء الإسلام، من منافقين ومشركين، يقول الشهرستانى : " إن شبهات هذه الأمة، نشأت كلها من شبهات منافقى زمن النبى عليه السلام، إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى، وشرعوا فيما لا مسرح فيه لفكر ولا مسرى، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه، والسؤال عنه، وجادلوا بالباطل

فيما لا يجوز الجدال فيه[١] كما أن بعض المشركين حاولوا الاحتجاج بالقدر تبريرا لعبادتهم الاصنام، وقد روى القرآن الكريم كلامهم فى هذا الشأن، إذ قال: "وقالوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا"[٢].

ومن هنا ندرك أن هذه المشكلات وغيرها التى أثيرت فى العهد النبوى، لم تكن سوى نوع من رد الفعل عند أعداء الاسلام، وقد صدر هذا مباشرة من المعارضين أنفسهم، وبصفة غير مباشرة بإيعاذ من أرباب الديانات السابقة حينما شعروا بخطر الإسلام على مراكزهم ونفوسهم.

وإذن فالبيئة الإسلامية الخالصة لم تكن مسئولة عن إثارة هذه المشكلات، أما عناصر هذه البيئة، فكانت تفكر فى اتجاه آخر وهو إعداد نفسها لنشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والدفاع عنه ضد المعتدين الذين كانوا يحاولون وأد الدعوة فى مهدها، أو إعاقتها عن الوصول إلى مداها.

وبذلك كانت الجبهة الإسلامية حول هذه المبادئ بناء محكما ، لا موضوع فيه لثغرة، ولا مكان فيه لثلمة، ولم يكن الفرد المسلم فيها يلوى على شئ سوى تحقيق الغاية النبيلة، وهى ايصال نور الإسلام إلى كل صقع من

---

(١) الشهرستانى: الملل والنحل، حـ١ ، ص ١٩.

(٢) الأنعام/ ١٤٨.

العالم.

لكن حينما امتد الزمن بالدعوة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وخاصة بعد الفتنة الكبرى التى راح ضحيتها عثمان بن عفان، بدأت تظهر بعض المشكلات المتصلة بالعقيدة، كتكفير مرتكب الكبيرة، والمنزلة بين المنزلتين، وما إلى ذلك مما كان تمهيدا لظهور علم الكلام، فظهرت الفرق الكلامية على اختلاف اتجاهاتها من جهمية، ومعتزلة، وأشاعرة، وما تريدية كما أن المعتزلة نفسها تفرعت إلى فرق فرعية كثيرة، وكذلك الأشاعرة وبدأت كل فرقة لا تقف عند النصوص الواردة فى المصدر الأو ل والثانى للإسلام بل تجاوزتها إلى شحذ اسلحتها بالآراء والمذاهب الفلسفية، ولم يقتصر الخلاف عند حد التفسير أو التأويل لهذه النصوص، بل إن كل فرقة اتخذت لها منهجا مستقلا فى التعامل مع المشكلات المطروحة، فمنها ما جعل العقل أساسا والنصوص تبعا، ومنها ما اتخذ منهجا معاكسا لذلك فكان الشرع هو الأصل والعقل تبع، وهكذا....

**ثانيا - الاختلاف حول الشريعة :**

لقد سبق أن أشير إلى أن المقصود بالشريعة، هو تلك الأحكام العملية التى تنظم علاقة المرء بربه أو علاقته بمجتمعه أو علاقة المجتمع كله بغيره من المجتمعات خارج النطاق الإسلامى، وكانت هذه الأحكام ومازالت موضوع

علم الفقه. فالعبادات، والمعاملات والاحوال الشخصة، والعقوبات وشئون الحكم مما يتصل بالخلافة أو الإمامة وما يتبعها من تنظيم مرافق الدولة كل ذلك يطلق عليه الشريعة فى مقابل العقيدة.

ولا يمكن ان نتوقع نشوب خلاف بين المسلمين على فرضية الصلاة أو الصيام أو الزكاة أو الحج، لأن هذه الفرائض قد قام عليها الدليل المورث لليقين من نصوص الكتاب والسنة، فهى إذن معلومة من الدين بالضرورة، ومن ثم فإنكار فرضيتها يجعل المنكر خارجا عن مظلة المجتمع الإسلامى، اما ما ظهر من خلاف حول بعض الكيفيات التى تمارس بها مثل هذه العبادات، فلم يكن محظورا، وكان أساس الخلاف فيه هو صحة ورود الدليل النقلى أو عدم صحته ، كما كان الاختلاف فى فهم العلماء للدليل النقلى الصحيح مدخلا في مثل هذا النوع من الخلاف.

ونحسب أن أحكام الزواج والطلاق وحقوق الزوجين ونظام الأسرة والمواريث لم يكن فيها خلاف إلا يسيرا، وهذا اليسير هو الذى يقع خارج إطار النص، لأن النص هنا يكاد يغطى رءوس المسائل المهمة فى هذا المجال، أما المعاملات فإن الثوابت فيها لا خلاف عليها، على حين نجد المتغيرات بابها واسع فى الخلاف.

ويشير الشهرستانى إلى أن الاختلاف حول الشريعة قد نشب عقيب وفاته صلى الله عليه وسلم، بل قبيل وفاته، يقول "وأما الاختلافات الواقعة فى

حال مرضه عليه الصلاة والسلام، وبعد وفاته، فى عهد الصحابة رضى الله عنهم ، فهى اختلافات اجتهادية، كما قيل، كان غرضهم منها إقامة مراسم الشرع، وإدامة مناهج الدين"[١].

وقد ذكر الشهرستانى من هذه الخلافات عشرا[٢] كلها حول الشريعة لا العقيدة.

## ٥ - الخلافـــة :

ومن اهم الموضوعات الفرعية التى حدث فيها اختلاف بين الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مسألة الخلافة[٣].

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المؤسس للدولة الإسلامية وذلك بعد انتقاله من مكة إلى المدينة، بل أن الأعداد لقيام الدولة قد سبق الهجرة إلى المدينة، وكان ما اعتبره بعض فلاسفة السياسة فى العصر

---

(١) المرجع السابق، جـ١، ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق، حـ١، ص ٢١-٢٦.

(٣) يتفق علماء الكلام من اهل السنة على أن الامامة من الفروع الفقهية ، انظر الغزالى، الاقتصاد فى الاعتقاد، مكتبة الجندى، ١٩٧٢، ص١٩٥؛ والايجى: المواف فى علم الكلام، القاهر، مكتبة المتنبى، د.ت، ص ٣٩٥، والماوردى: الاحكام السلطانية، القاهرة، مصطفى البابى الحلبى،ط٣، ١٩٧٣، ص ٩ .١٠.وإن كان الأخير من الفقهاء

الحديث مجرد فرض خيالى[١]، كما هو الحال عند (جان جاك روسو) فى نظريته عن (العقد الاجتماعى)، قد تحقق بالفعل فى دولة الاسلام الناشئة، وقد تمثل ذلك فى بيعة العقبة الأولى، وبيعة العقبة الثانية بين الرسول صلى الله عليه وسلم، ووفدى الأوس والخزرج، وتخبرنا النصوص التى تروى أحداث هاتين البيعتين كيف تحققت نظرية العقد الاجتماعى الخيالية واقعا حقيقيا قبل أن يتخيلها أصحابها بما يقرب من ألف عام ففيها "الاتفاق بين ارادات إنسانية حرة، وأفكار واعية، ناضجة من أجل تحقيق رسالة سامية"[٢].

وعلى إثر انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، بدأت المسارات الفعلية لتكوين الدولة، فالمجتمع الإسلامى قد أصبح يمتلك وطنا، كما أصبح هذا المجتمع يمثل شعبا مكونا من عنصرين هما المهاجرون والأنصار، وبدأت الدولة تمارس سلطاتها فى عقد المعاهدات، وتسيير البعوث العسكرية، وتوجيه سرايا الاستطلاع لتتبع أخبار العدو، وعقد الألوية فى حالة تعرض الدولة للعدوان، وإبرام الاتفاقات الدولية، وبعث السفراء إلى مختلف الدول المحيطة، وتأسيس نظم التعليم في المجتمع الجديد، وجباية

---

(١) د. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٧، ص ١٩٥، ١٩٦.

(٢) د. ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية، القاهرة، مكتبة التراث، ١٩٧٩، ص ٣٠، ٣١.

الأموال التى هى عصب اقتصاد الدولة[١].

فالنظام الذى أنشأه الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة، يمكن وصفه بأنه (سياسى)[٢] بكل معانى هذه الكلمة فى العصر الحديث، ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم كان رسولا وصاحب دعوة دينية، فهل كانت دولته هذه دولة دينية بمعنى تحيط الكهنونية بها، فيصبح الحكم والإدارة مجرد أسرار لا يمكن أن يطلع عليها أو يديرها، أو يصدر القرارات فيها إلا رجال الدين؟. ربما دخل هذا الظن عند البعض، لأن الدولة كانت فى خدمة الدين وحماية الدعوة والعمل على نشرهاو لكن الحقيقة أن هذه الدولة كانت مدنية، بكل معانى الكلمة، لأن الجهد البشرى فى الدولة كان أوضح من أن يحتمل التأويل، ونشاط العقل البشرى فيها لا يمكن تجاهله، بل أن الرسول نفسه فى غالبية القرارات فى المواقف الحاسمة كان يعتمد على نفسه بصفته بشرا، لا بصفته رسولا فقد استشار أصحابه فى مناسبات لها خطورتها، منها استشارته اصحابه فى الخروج من المدينة لملاقاة المشركين ونزل على ما أشاروا به، وقبوله مشورة صحابى فى الموقع الذى اتخذه قبل قتال قريش

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٣.

(٢) D.B. Macdonald. Developonent of Muslem theology,New York,1903,p..67. Look also,T.Arnold: the Caliphate,. Oxford,1924,P.30 .

وكذلك فعل في حفر الخندق حول المدينة في غزوة الاحزاب.

ومن ثم نستطيع القول أن الدولة فى عصر الرسول كانت علمانية فى خدمة الدعوة الدينية، ولم يكن الدين فى خدمة الدولة، فهى علمانية باعتبار الممارسة الواقعية، ودينية من حيث المقاصد والاهداف، ولم يكن الدين هو المقصد الوحيد بل كانت الدنيا أيضا، لأن حملة هذا الدين ودعاته بشر لهم تطلعاتهم التى لا تفترق عن تطلعات غيرهم من امثالهم.

وبعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، فوجئ الاصحاب بأنه لم يترك نصا واحدا فى الكتاب أو السنة، يشير إلى من يتولى الخلافة من بعده، ولم يترك كذلك نصا فى الكتاب أو السنة، يشير من قريب أو بعيد إلى طريقة محددة يتم على أساسها تعيين خليفة بعده، وكل ما هنالك نصوص تبين ان الشورى هى أساس الإنسان المسلم فى حياته كلها على المستوى الفردى والمستوى الاجتماعى، سواء أكان متصلا بالحياة السياسية أو أى أمر من أمور الإنسان المعاشية.

وبهذا يتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن اسس دولة، فانها لم تكن دولة دينية بالمفهوم الأوربى فى العصور الوسطى، كما لم تكن دولة دينية بالمفهوم الذى يتبناه كثير من دعاة الإتجاه الإسلامى فى عصرنا الحاضر، سواء على المستوى الشيعى، أو المستوى السنى. بل كانت دولة ترك فيها للعقل البشرى أوسع مدى، وللتعامل مع الأمور الدنيوية على أرحب نطاق.

والبرهان على ذلك أنه بمجرد وفاته صلى الله عليه وسلم خف الأنصار إلى سقيفة بني ساعدة ليختاروا الخليفة من بينهم، وهو سعد بن عبادة، فأسرع ثلاثة من المهاجرين إليهم وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، يطالبون أن تكون الخلافة في قريش، وهنا يبرز أحد الأنصار، ويقول: منا أمير ومنكم أمير، ولكن الجانب القرشي يقول : نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وينتهي الأمر باختيار أبى بكر، بترشيح من عمر، ويجمع القوم على هذا الاختيار، ولكن عليا كان غائبا مشغولا بتجهيز النبى ودفنه. فتأخرت بيعته قليلا، لكنه بايع فى النهاية.

وهنا يمكن القول أن الأنصار قد خفوا إلى السقيفة لاختيار أمير منهم لإدراكهم أن هناك دولة قائمة تحتاج إلى رئيس بعد وفاة رئيسها، ومن هنا يتبين أيضا أن الشيخ على عبد الرازق كان مبالغا في هذه النقطة، وهى نفى أن يكون النبى قد أسس دولة، ولعله ذهب إلى ما ذهب اليه. حتى لا يتخيل احد كما تخيل الكثير ان دولة الإسلام دولة دينية، إذ قال " فهو صلى الله عليه وسلم ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشوبها نزعة ملك، ولا دعوة لدولة، وأنه لم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم ملك ولا حكومة، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذى يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها، ما كان إلا رسولا كإخوانه الخالين من الرسل، وما كان

ملكا ولا مؤسس دولة، ولا داعيا إلى ملك"[١].

إن كل ما كان يسعى إليه الشيخ عبد الرازق هو نفى القداسة عن نظام الحكم الإسلامى المتمثل فى الخلافة، ونحن معه، لكن أن يسعى إلى نفى أن يكون الرسول قد أسس دولة، فهذا صعب القبول ولعل الذى دفعه - كما قلنا- هو محاولة اثبات نظريته الاساسية، وهى أن نظام الخلافة لم يكن مقدسا، بل كان بشريا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة.

المهم أن الانصار ما قصدوا باجتماعهم هذا إلا لأنهم ادركوا ان هذا الأمر يشغل بال المسلمين، وأن هناك بعض الآراء، أو بعد الكلام الذى دار بين بعض المسلمين، حول هذا الأمر، وهو حكم الدولة التى أسسها الرسول، أو شيئا قريبا منه، وذلك اثناء المرض الذى ألم بالرسول صلى الله عليه وسلم والذى توفى فيه[٢].

---

(١) الشيخ على عبد الرازق: الاسلام وأصول الحكم، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٢٥، ص ٦٤و٦٥.

(٢) ابن هشام: السيرة، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د.ت، جـ٤، ص ٤٤٢ ، ٣٣٣، والبخارى: صحيح البخارى، القاهرة، مطبعة التقدم، ١٣٢٠هـ، حـ٢، ص٦١، وابن سعد: الطبقات الكبرى، القاهرة، لجنة نشر الثقافة، ١٣٥٨هـ، حـ٤، ٥٨، والشهرستانى الملل والنحل، القاهرة، مطبعة الأزهر، ص ١٨ ، ١٩.

**٦ - الاختلاف حول الخلافة :**

على أية حال فقد ذهب عامة المسلمين فى الطريق الذى تثبت به الإمامة مذهبين رئيسيين:

**الأول:** يرى أنها تثبت بالاتفاق والختيار.

**الثانى** : يرى انها تثبت بالنص والتعبين.

واتباع المذهب الأول يذهبون فى تحديد شخصية الإمام الذى يمكن أن يقع عليه الاختيار ثلاثة مذاهب أحدها: أن الإمام لابد أن يكون قرشيا، وثانيها : أن الإمام لابد ان يكون هاشميا، وثالثها أن الإمام غير مشروط فيه أن يكون قرشيا أو هاشميا، بل يصلح للإمامة أى فرد من المسلمين ما دام الاختيار قد انصب عليه.

ومن الواضح أن أهل السنة هم اصحاب الرأى الذى يشترط فى الإمام المختار أن يكون قرشيا، وأن الزيدية من الشيعة هم الذين اشترطوا ان يختار الناس إماما من بنى هاشم ، أما الذين يطلقون اختياره فى عامة المسلمين، فهم الخوارج.

فإذا ما انتقلنا إلى من يذهبون إلى أن الخلافة أو الإمامة كانت بالنص والتعيين فهم جميع فرق الشيعة، عدا الزيدية، فقد اتفقوا جميعا على أن الشخص الذى عينه الرسول صلى الله عليه وسلم هو على بن أبى طالب.

لكنهم يختلفون فى الإمام بعد على.

فقد ذهبت الكيسانية إلى أن عليا قد أوصى بتعيين ابنه محمد بن الحنفية، والكيسانية، يفترقون بعد ذلك إذ يذهب بعضهم إلى أن محمد بن الحنفية حى لم يمت، وأنه سيرجع ويملأ الارض عدلا بعد أن ملئت جوارا، وأنه موجود فى جبل رضوى عنده عينان إحداهما تفيض ماء، والأخرى تفيض عسلا.

ويذهب بعضهم إلى أنه مات، والإمام بعده هو أبو هاشم، وهؤلاء بدورهم يختلفون فيمن انتقلت إليه الإمامة بعد أبى هاشم، فذهب البعض إلى أن الإمامة بقيت فى عقبة ، وذهب آخرون إلى أنها انتقلت إلى غير عقبة، فذهب جماعة إلى أنه بيان من سمعان النهدى وذهب البعض إلى أنه على بن عبد الله ابن عباس، وذهب آخرون إلى أنه عبد الله بن حرب الكندى، وذهب فريق إلى انه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب.

ولكن فريقا اخر من الشيعة لم يعترفوا بإمامة محمد بن الحنفية ولم يعترفوا بانتقال الإمامة الا إلى الحسن ثم أبنائه من بعده. عبد الله، ثم محمد بن عبد الله، ثم اخيه إبراهيم.

وذهب فريق إلى أن الإمام بعد على بن ابى طالب هو الحسن ثم الحسين ثم ابنه على زين العابدين بالنص وهؤلاء يفترقون بعد ذلك إلى فريقين احدهمايقول بإمامة زيد ، وهذا الفريق يقول إن كل إمام من اولاد فاطمة يخرج على الحكم القائم يكون واجب الاتباع، ولذلك أجازوا رجوع

الإمامة إلى أولادالحسن، خاصه أن محمدا وابراهيم ولدى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على قد خرجا على الحكم القائم وقتلا.

أما الفريق الثانى فإنه يقول بانتقال الإمامة، بعد على زين العابدين إلى ابنه محمد الباقر، ومن بعده ابنه جعفر الصادق، وبعد جعفر الصادق اختلف الاتباع، إذ كان له خمسة ابناء: محمد وإسماعيل، وعبد الله، وموسى وعلى. ولذلك قال بعض اتباع جعفر ان الإمامة فى محمد وهم العمارية ومنهم من جعلها فى إسماعيل وأنكر موته فى حياة أبيه وهم المباركية، ومن هؤلاء من وقف عليه، وقال برجعته، ومنهم من ساق الإمامة فى أولاده نصا بعد نص، وهم الإسماعيلية، ومنهم من قال بإمامة عبد الله الأفطح وقال برجعته بعد موته، لأنه مات ولم يعقب أبناء، ومنهم من قال بإمامة موسى، إذ قال والده: سابعكم قائمكم، الا وهو سمى صاحب التوراة، وقد انقسم هؤلاء، فمنهم من اقتصر عليه وقال برجعته وذهبوا إلى أنه لم يمت، ومنهم من ذهب إلى أنه مات وتوقفوا عليه اى لم يسوقوا الإمامة فيمن بعده وهم المطورة، ومنهم من قطع بموته وساق الإمامة إلى ابنه على بن موسى الرضا، وهم القطعية، وهؤلاء اختلفوا فى كل ولد بعده، وأكبر هؤلاء المختلفين هم الاثنا عشرية الذين ذهبوا فى الإمامة بعد على الرضا إلى ابنه محمد، ثم إلى ابنه على، ثم إلى ابنه الحسن العسكرى، ثم إلى ابنه محمد القائم المنتظر الثانى عشر، وقالوا هو حى لم يمت، ويرجع فيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا.

وذهب آخرون بانتقال الإمامة من الحسن العسكرى إلى اخيه جعفر وقالوا بالتوقف عليه، أو قالوا بالشك فى حال محمد.

ويعلق الشهرستانى على هذه السلاسل المتفرعة المتطاولة فيقول: "ولهم خيط طويل فى سوق الإمامة، والتوقف، والقول بالرجعة بعد الموت، والقول بالغيبة، ثم الرجعة بعد الغيبة"[١].

وإذ قد تبين رأى الشيعة على اختلاف فرقهم، ورأى الخوارج على تنوعهم، ورأى اهل السنة جميعهم، فإنه يمكن البدء بما ذهب اليه اهل السنة.

### ٧ - اهل السنة والخلافة :

وقد سبق ذكر اعتبار اهل السنة مسألة الإمامة من الموضوعات الفقهية، كما هو واضح من وضعها فى الفروع دون الأصول أما الشيعة على اختلاف فرقهم فقد ذهبوا إلى أن الإمامة حقيقة من حقائق العقيدة التى يجب الايمان بها، هذا مع استثناء الزيدية من فروع الشيعة، إذ لا يكادون يختلفون عن اهل السنة فى هذا الموضوع، على حين نجد الخوارج قد اجتمعوا فى كل زمان على واحد منهم بشرط ان يكون مؤمنا بما اعتقدوه من أمور غير الإمامة، داخلة فى الناحية العقدية مثل مرتكب الكبيرة وما إلى ذلك،

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل، حـ١ ، ص ٢٦،- ٢٧.

وبشرط أن يجرى على سنن العدل فى معاملاتهم، والا خذلوه، وخلعوه، وربما قتلوه.

* * *

إذن فأهل السنة قد وضعوا الإمامة فى اطار الشريعة، وذلك انطلاقا من المبادئ الأساسية فى تقسيم الوحى إلى عقيدة وشريعة ويرون كذلك أن الإمامة واجبة على المسلمين شرعا لا عقلا، ومعهم فى ذلك جمهور كبير من المعتزلة، وأكثر الزيدية، وذهب بعض المعتزلة كالجاحظ والكعبى وأبى الحسين البصرى إلى أنها واجبة عقلا وسمعا[1]، كما ذهب أكثر الشيعة إلى انها واجبة عقلا لا شرعا[2]، على أى حال فقد تكفل الوحى ببيان حقائق العقيدة – على نحو ما سبق – وتكفل ايضا بتقرير الموضوعات التي تنضوى تحت الفروع، غير انه سكت عن الإمامة كتابا وسنة الا بالاشارة إلى وجوب طاعة ولى الأمر، والأمر باتباع الشورى فى تقرير امور المسلمين، ومن ثم اقتضى ذلك أن يكون هناك ولى للأمر، وأن ولى الأمر هذا إنما يكون تعيينه بالاختيار والتشاور، أما الطريقة التى ينبغى اتباعها في اختيار ولى الأمر، فلم يرد فى

---

(١) فخر الدين الرازى: معالم أصول الدين، بهامش (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، القاهرة، المطبعة الحسينية، ١٣٢٣هـ، ص ١٥٤.

(٢) سيف الدين الآمدى: غاية المرام فى علم الكلام، ص ٣٦٤.

الكتاب أو السنة عنها شى.

غير أن اهل السنة قد وضعو الإمامة -على النحو السابق - ضمن الفروع باعتبار أن طريق الاختيار قد تم باجماع الصحابة، وما دام الأمر كذلك فقد اعتبروه أمرا شرعيا ، على اعتبار ان الإجماع مصدر من مصادر التشريع، وبصرف النظر عن اعتبار الاجماع حجة شرعية فى أمور الدين، أو عدم اعتباره[1]، فان كتب الفقه السنية على اختلاف المذاهب الفقهية المشهورة قد أغفلت ادراج موضوع الإمامة ضمن موضوعاتها الفقهية، والمعروف انها صنفت هذه الموضوعات تحت ما أطلقت عليه عنوان (الكتاب) فقالت مثلا كتاب الطهارة، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة، كتاب الصيام، كتاب الحج، وهكذا فى المعاملات، والأحوال الشخصية من زواج وطلاق، وولاية على القاصر أو المجنون أو المعتوه والمأمورات والمنهيات من الأمور الشرعية كالصيد والذبائح والأطعمة والأشربة، والوصية والمواريث، والعقوبات من الحدود والتعازير، حتى العتق.

وهكذا يقلب الباحث أى كتاب من هذه الكتب، وخاصة الأمهات، فلا يجد ذكرا لموضوع الإمامة.

---

(١) تمسك الشيخ عبد الرازق برأى من يقول بعدم حجية الإجماع على نفى أن يكون نظام الخلافة شرعيا. (الاسلام وأصول الحكم) ، نقد وتعليق الدكتور ممدوح حقى، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت، ص ٤١.

وإذا ما انتقلنا الي كتب الحديث نجد اصح كتاب بعد القرآن وهو صحيح البخارى[١]. لم يفرد للإمامة أو الخلافة أو الإمارة مكانا بين الأبواب أو الفصول التى صنف الكتاب على أساسها، والمعروف ان كتب الحديث قد صنفت على اساس الابواب الفقهية[٢]. عدا المسانيد بطبيعة الحال التي صنفت على أساس الرواة، وقد فعل الإمام مسلم بن الحجاج نفس الصنيع فى تبويب صحيحه على الأبواب الفقهية، غير انه خصص مجموعة من الاحاديث تحت عنوان (كتاب الامارة)[٣]، شغل آخر الجزء الثانى عشر، وبعضا من بداية الجزء الثالث عشر، والأحاديث التى وردت تحت هذا العنوان تدور حول المبادئ العامة، والحرص على مصالح المسلمين وكون الإمام قرشيا، وذلك كله دون تحديد للشخص الذى ينبغى ان يلى الأمر[٤].

أما الكتب التى عرضت لهذا الموضوع، وحرصت عليه، فهى كتب علم

---

(١) البخارى: الجامع الصحيح، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، د.ت، فهارس الكتاب.

(٢) د. محمد محمد ابو شهبة: فى رحاب السنة- الكتب الصحاح والسنة، القاهرة، مطبعة الازهر، ١٩٦١،ص ٦٥، ٩١.

(٣) تجدر الاشارة الى ان الامام مسلم لم يكن هو الذى وضع عناوين أبوابه فى الصحيح بل ان ذلك ينسب الى الإمام النورى(المرجع السابق، ص ٩٢).

(٤) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، بشرح النورى، القاهرة، بعناية محمد توفيق، د.ت، جـ١٢، ص١٩٩- ٢٣١، جـ١٣، ص ٢-١٠.

الكلام وكذلك الكتب التى تخصصت فى الحديث عن الأمور السياسية، وهى قليلة على أى حال، بالإضافة إلى كتب الفرق.

فلماذا إذن تناولت الكتب الكلامية هذا الموضوع وهى قد اختصت بأمور العقيدة، أو بأصول الدين؟. هل اعتبر علماء الكلام موضوع الإمامة من الأمور العقدية؟. الحق أن مصنفى الكتب الكلامية الذين تعرضوا لهذا الموضوع لم يدعوا أن هذا الموضوع من أصول الدين بل أنهم على العكس قد أكدوا على أنه من موضوعات الفقه، وأنه جدير بأن يبحث فى الكتب الفقهية.

فما السبب إذن الذى حدى بعلماء الكلام إلى بحث هذا الموضوع؟.

فى الواقع هناك سببان لذلك أولهما: أن ذلك اصبح تقليدا متوارثا فقد درج هؤلاء العلماء على ذكر هذا الموضوع تقليدا لمن سبقوهم فى بحوثهم الكلامية، ولا ندرى من الذى بدأ هذا الأمر من علماء الكلام بحيث دفع خلفاءه من علماء الكلام إلى تقليده، يقول الغزالى: " النظر فى الإمامة... ليس من المهمات، وليس أيضا من المعقولات لما فيها من الفقهيات، ثم إنها مثار للتعصبات، والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض، بل وإن اصاب، فكيف إذا أخطأ، ولكن إذا جرى الرسم باختتام المعتقدات به، أردنا ان نسلك المنهج المعتاد، فإن القلوب عن المنهج المخالف للمألوف شديدة النفار"(١).

---

(١) الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد، القاهرة، مكتبة الجندى،١٩٧٢، ص ١٩٥.

أما السبب الثانى فهو أن الذى دفعهم إلى ذلك هو ما وجدوه من الشيعة بجعلهم الإمامة من أصول الدين، فكان المعقول للرد عليهم، ان يكون ذلك من خلال الكتب التى تهتم بأصول الدين، وهى الكتب الكلامية"[١].

لكن لماذا سكت الفقهاء أمام هذا الموضوع، خاصة أن علماء الكلام قد نبهوا فى معظم كتبهم إلى أنه من اختصاص الفقهاء؟. هل آثر هؤلاء الفقهاء أن يتجنبوه حتى لا يتعرضو لمخاطر التعصب- كما يشير الغزالى فى نصه السابق؟. إن الكلمة التى يمكن أن تقال فى هذا الصدد هى : إما ان يكون الفقهاء فعلا قد آثروا السلامة فتجنبوه، وهذا الاحتمال قد يكون موضع نظر، لأنه إذا كان هناك فقهاء من طبيعتهم إيثار السلامة، فإن هناك آخرين على العكس من ذلك قد رزقوا من الشجاعة فى قول الحق ما عرضهم إلى العنت والارهاق، مما يستبعد معه ان يكون سبب عدم بحثهم لموضوع الإمامة هو تجنب مخاطر التعصبات، وإما أن هؤلاء الفقهاء لم يوافقوا علماء الكلام على أن موضوع الإمامة ليس من الفقهيات. ومن ثم تجاهلوه وأسقطوه من مباحثهم الفقهية.

ويبقى السؤال قائما: إذا لم يكن هذا الموضوع من الكلاميات كما يرى علماء الكلام، ولم يكن من الفقهيات، كما هو حال صمت الفقهاء عن التعرض

(١) د. ضياء الدين الريس: النظريات السياسية، ص ٣٣.

له. فماذا يكون إذن؟ ما دام الدين إما عقيدة وإما شريعة. ولا ثالث لهما؟..

هنا يبدو الأمر واضحا، وهو أن موضوع الإمامة من الأمور الدنيوية المصلحية، التى ينبغى علي المسلمين أن يجتهدوا فيما يتصل بها من قواعد، مثل شروط من يتولي الحكم، وكيفية اختياره، والمهام التى ينبغى ان تناط به. فإذا كان القرآن الكريم والنبى صلى الله عليه وسلم قد سكتا عن موضوع الإمامة، وليس هناك نص جلى، فإن هذا يعنى "تفويض معرفة الأحق الأليق إلى آراء أولى الألباب، واختيار أهل الحل والعقد من الأصحاب، وأنظار ذوى البصيرة بمصالح الأمور، وتدبير سياسة الجمهور، مع التنبيهه على ذلك بخفيف الاشارة، أو لطيف العبارة نوع بيان، لا يخفى حسنه على أهل العرفان"[١].

وإذا ما انتقلنا إلى الكتب المتخصصة فى السياسة، وهى قليلة بطبيعة الحال مثل كتاب الأحكام السلطانية للماوردى، وجدناها لا تكاد تختلف عما ذكره علماء الكلام بهذا الخصوص إلا فى ذكر تفاصيل، ولم تكن هذه الكتب لتضع نظريات مسبقة واجبة التطبيق فى الأغلب بل ان معظم القواعد التى تحدثت عنها كانت صدى لما هو وأقع تاريخيا.

(١) سعد الدين التفتازانى ، جـ٢، ص ٢٨٥.

فالماوردى يتحدث عن كون الخلافة هى خلافة للنبوة، وعن حكمها عند مختلف المفكرين المسلمين -ماعدا الشيعة بالطبع- فيذكر أن حكم عقدها واجب بالاجماع. غير أن هذا الاجماع هل هو اجماع شرعى أى باعتباره مصدرا من مصادر التشريع، أو إجماع عقلى اى باعتبار اتفاق العقلاء من الأمة على ما هو أصلح لهم فى شئون دنياهم وذلك " لما فى طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من النظام، ويفصل بينهم فى التنازع والتخاصم"، أما القائلون بوجوبها من جهة الإجماع الشرعى فقد احتجوا بأن " الأمام يقوم بأمور شرعية قد كان مجوزا فى العقل الا يراد التعبد بها" ولذلك يستندون إلى الأيات الواردة فى طاعة ولى الأمر[1]، وبالاحاديث التى تشير إلى ولاية الأمر بعد الرسول[2]. ثم يحدد الشروط الواجب توافرها فى الإمام، والشروط التى يجب توافرها فيمن يختارونه أى أهل الحل والعقد.

ويذهب الماوردى إلى جعل الخلافة فى عهد الخلفاء الراشدين النموذج الذى يقاس عليه ولذلك يقرر أن الإمامة تنعقد من وجهين، أحدهما اختيار أهل الحل والعقد للإمام، والثانى بعهد من الإمام السابق، مشيرا إلى اختيار

(١) النساء/٥٩

(٢) مثل قوله صلى الله عليه وسلم "سيليكم بعدى ولاة، فيليكم البرو ببره،ويليكم الفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا فى كل ما وافق الحق فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن اساءوا ، فلكم وعليهم".

الصحابة لأبى بكر، وبعهد أبى بكر لعمر، مع أن عهد أبى بكر لعمر كان بمثابة ترشيح، وإلا لما لزمت بيعة عمر بعد ذلك، وكأنه بهذا يبرر ما حدث بعد عصر الخلفاء الراشدين من تحول الخلافة إلى وراثة، بحيث يعين الخليفة وليا للعهد فى حياته، وعلى المسلمين ان يقبلوا ولو كانوا كارهين.

غير ان الماوردى يتحدث عما إذا تساوى شخصان فى الشروط الواجب توافرها فى الخليفة، فإنه تجب مراعاة ظروف الوقت فى تفضيل أحدهما على الأخر، فإن كان احدهما يتميز بالشجاعة، والأخر يتميز بالعلم، قدم الأول إذا كان الوقت وقت حرب، وإن كان الوقت وقت سلم مع تفشى البدع اختير الثانى[1].

واختلاف الظروف على هذا النحو يبين أن المسألة منوطة ببصر الأمة وافكار عقلائها.

ولكن إذا ما ألقينا نظرة على الواقع التاريخى، وصرفنا النظر عن الجانب النظرى، نجد أن علماء الفقه فى سكوتهم عن بحث موضوع الإمامة كان نابعا من قناعتهم بأن هذا الموضوع خارج عن اختصاصهم، فالتاريخ يقول أنه باستثناء فترة الحكم فى عصر الخلفاء الراشدين، لم تطبق الاحكام

---

(١) الماوردى: الأحكام السلطانية، القاهرة، الحلبى، القاهرة، الحلبى ص ٥-٧، ٩ ، ١٩٧٣.

النظرية التى سبق الحديث عنها الا نادرا، فما كان الخلفاء فى معظمهم من ذوى الكفاءة المطلوبة، طبقا للشروط المدونة، بل ان بعض الخلفاء كان دون سن البلوغ، أو حتى دون سن التمييز، مما لا يوافق الشرع والعقل معا، ومع ذلك لم يعترض جمهور المسلمين على هذا الإجراء، بل كانوا يبادرون بالموافقة، وليس معنى ذلك ان الجمهور قد قصر فى المعارضة، ولكنه كان ينطلق من تطبيق ارشادات الرسول فى عدم جواز الخروج على ولى الأمر، حتى ولو كان جائرا[1].

**٨ - ابن خلدون والخلافة :**

وابن خلدون نفسه ينقل إلينا الواقع التاريخى بحزافيره، حين يقسم مرحلة الخلافة الإسلامية ثلاثة أدوار:

**الأول** : يتمثل فى عهد الخلفاء الراشدين، ويصف هذا الدور بأن الخلافة كانت موجودة في شكلها ومضمونها يعنى أنها كانت قائمة على الشورى، وترعى مصالح المسلمين.

**الثانى:** يتمثل فى عهد بنى أمية، وشطرا من خلفاء بنى العباس إلى

(١) جاء فى الحديث: اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه ذبيبة، والحديث السابق أيضا يؤكد ذلك.

هارون الرشيد وبعض ولده، ويصف الخلافة فى هذا الدور بأنها لم يبق منها سوى معناها. باعتبارها فقدت الشكل لانها لم تقم على الشورى، وبقى المضمون لرعايتها مصالح المسلمين، ويبرر ابن خلدون رأيه فى أن الخلافة فى هذا الدور قد بقى مضمونها بأنها وإن تحولت إلى ملك وراثى بأن الشرع" لم يذم منه (الملك) التغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح، وانما ذمه لما فيه من التغلب بالباطل، وتصريف الآدميين طوع الأغراض والشهوات[١]".

**الثالث** : ذهاب شكل الخلافة ومضمونها بمعنى التولى بغير الشورى وعدم رعاية مصالح الأمة الإسلامية، إذ اصبح الخلفاء العوبة في أيدى قادة الجيوش من الترك وغيرهم.

ومع هذا الذى ذكره ابن خلدون، من ذهاب شكل الإمامة دون مضمونها بسبب فقدان الشورى، فإن علماء الكلام أخذوا يبررون ما حدث من ولاية العهد فى العصرين الأموى والعباسى بمحاولة التماس دليل شرعى على صحة التولية، فقالوا انه " إذا ثبت أن مستند التعيين ليس إلا الاختيار، فذلك مما لا يفتقر إلى إجماع اهل الحل والعقد، فإن ذلك مما لم يقم عليه دليل عقلى ولا سمعى نقلى، بل الواحد من اهل الحل والعقد، والاثنان كاف فى

(١) ابن خلدون :المقدمة، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٦، ص ١٢٠.

الانعقاد، ووجوب الطاعة والانقياد"[١].

ففقدان مبدأ الشورى غير مهم، والمهم أن الاختيار يتم، واصبح الإمام يعين لا باجماع أهل الحل والعقد، على فرض ان الاجماع حجة شرعية، بل باختيار واحد، أفبعد ذلك يمكن ان يقال إن منصب الخلافة منصب دينى، أو أن نظام الخلافة نظام دينى، أنه نظام دنيوى بحت، غاية ما هناك أن من يتولى هذا الأمر، يجب عليه أن يحافظ على دين الأمة التى يحكمها، كما يحافظ على اقتصادها، وحدودها تماما، بل إنه يجب عليه ان يحافظ علي أموال وأعراض غير المسلمين ممن دخلوا معهم في عقد أمان أو ذمة وأن يمكنهم من إقامه شعائرهم الدينية فى حرية تامة. فإذا قصر فى واجب من واجباته هذه نحو الأمة فقد فَقدَ الموجب لتعيينه إماما، وعندئذ يستحق العزل، ولكن كيف يعزل؟ هل ينعزل بنفسه؟. أم يعزله المسلمون؟، ومن هم المسلمون الذين من حقهمَ ان يعزلوه؟. وما الإجراءات الواجب اتباعها للوصول إلى عزله؟. إن الاجابة على هذه الأسئلة قد تزيد الامر وضوحا، فيما يخص حقيقة منصب الإمامة.

---

(١) سيف الدين الآمدى: غاية المرام فى علم الكلام، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، ١٩٧١، ص ٣٨١.

## ٩ - موقف الأمة من الخليفة والخلافة :

إن أهم ما يجب على الأمة الإسلامية هو طاعة امامهم بشرط أن يقيم العدل بينهم، والعدل من صفات الإمام الذى يتولى أمور المسلمين، وتنفيذ مقتضيات العدل واجب شرعا بمقتضى الأمر الالهى" ان الله يأمر بالعدل والاحسان.."[١]، وواجب عقلا بمقتضي الفطرة البشرية، وبمقتضى أقوال الفلاسفة السابقين للإسلام وخاصة أولئك الذين تحدثوا عن المدن الفاضلة، واول خليفة فى الاسلام وهو ابو بكر، وضع الأسس فى هذه القضية " أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم"[٢]، وطاعة الله ورسوله تعنى المحافظة على دين المسلمين ودنياهم.

ولكن ماذا لو حدث أن فقد الإمام شرطا من الشروط المفروض توافرها فيه؟.

**أولا** : هذه الشروط هى : النجدة، الكفاية، الورع، العلم[٣]. فمثلا صفة العلم، لو فقدها من يتولى الإمامة يجب عزله، ولكن كيف يعزل؟ إن العزل هنا

---

(١) النحل/٩٠

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م، حـ٣ ، ص ٢١٠.

(٣) الغزالى : فضائح لباطنية، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى، القاهرة، الدار القومية، ١٩٦٤، ص ١٨٢- ١٩٤.

منوط بألا يترتب عليه من شر من سفك دماء او ضياع أموال، أو هتك أعراض. فإذا امكن عزله دون حدوث أى من هذه المخاطر،وإلا فلا يجب عزله، بل يمتنع،لأن إقامته من اجل المحافظة على مصالح المسلمين دنيا ودينا، وبعزله تضيع مصالح المسلمين دينا ودنيا،بل إن مزية العلم فضل كمال، فزيادة " صفة العلم انما تراعى مزية وتتمة للمصالح، فلا يجوز أن يعطل أصل المصالح فى التشوق إلى مزاياها، وتكملاتها، وهذه مسائل فقهية ، فليهون المستبعد لمخالفته، المشهود على نفسه استبعاده، ولينزل من غلوائه، فالأمر أهون مما يظنه"[1] ومعنى ذلك انه يمكن التغاضى عن صفة أخرى غير صفة العلم مثل صفة النجدة، أو الكفاية، أو الورع، لأن الضرورات تبيح المحظورات. وذلك خير من أن تسفك الدماء، وتنتهك الأعراض،وتضيع الاموال "فالبعيد مع الابعد قريب، وأهون الشرين خير بالإضافة، ويجب على العاقل اختياره"[2].ومن هنا ذهبوا إلى أنه يجوز امامة المفضول مع وجود الفاضل[3] ،بل ربما ذهبوا إلى ماهو اكثر من ذلك ، فأجازوا الخضوع للإمام الكافر والمرتد وذلك فى حالة الموازنة ايضا بين مضار الثورة عليه وخلعه، وبين

---

(١) الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد، ص ١٩٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٠.

(٣) الايجى : المواقف. ص ٤١٢.

الخضوع له أى الجانبين اخف ضررا[١].

وهكذا نرى ان المتكلمين لم يجافوا الواقع التاريخى، إذ قد شاهدوا بأعينهم أو سمعوا ما حدث من أحداث التاريخ الإسلامى، فوجدوا أنه قد تولى الخلافة من ليس لها بأهل ومع ذلك فقد خضع المسلمون، والتزموا الطاعة إنطلاقا من أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم الذى أمر بطاعة ولى الإمام حتى ولو جار، وانطلاقا من الأية الكريمة، "ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم"[٢].

## ١٠- الشيعة والخلافة :

أما الشيعة فإنهم -كما سبق- ذهبوا إلى أن تعيين الإمام بالنص عليه من الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ ليس من المعقول أن ينص الرسول صلى الله عليه وسلم على حكم الاستنجاء والتيمم[٣]، ولا ينص على الإمام ، ولذلك كان تعيين الإمام واجبا على الله، وليس واجبا على العباد، بل انهم يذهبون إلى أن الإيمان بإمامة ائمتهم اصل من اصول الدين مثله فى ذلك مثل

---

(١) الآمدى: نيل المرام، ص ٣٨٦.

(٢) النساء / ٥٩ .

(٣) المرجع السابق، ص ٣٧٥ .

الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فكما وضع الله تعالى سلسلة النبوة والرسالة كضرورة لازمة لعدله وحكمه ورحمته، وكما ارسل من عنده الأنبياء والرسل عليهم السلام لهداية عباده وقيادتهم إلى طريق الحق وجعلهم معصومين واجبى الطاعة، وليكونوا حجة الله على عبادة، ليثابوا أو يعاقبوا، فكهذا بعد إنتقال الرسول إلى الرفيق الاعلى وضع الله سلسلة الإمامة لهداية عباده وقيادتهم إلى الطريق الصحيح وحتى تكون حجة عليهم إلى يوم القيامة، ومن هنا تم تعيين الأئمة ليتولوا الإمامة إلى يوم القيامة.

وتختلف الفروع الشيعية فيما بينها بعد ذلك فى النظر الي الأئمة وفى عددهم،وشخصياتهم، وقد سبقت الاشارة إلى ما لدى هؤلاء وأولئك من أفكار عن أسماء أئمتهم، ولكن تبقى هناك فروق بين هذه الفروع حول منزلة هؤلاء الأئمة، هل هم بشر يتساوون مع الأنبياء، أو ربما يتفوقون على بعضهم؟ أم انهم فى مستوى الآلهة لا يدانيهم البشر من غيرهم فى منازلهم، وسواء أكانوا هؤلاء أو ألئك، فإن القاسم المشترك بين هذه الفروع هو انتقال سلطة تعيين الإمام من الأمة إلى الله، لأن البشر لا مدخل لهم فى ذلك، فهؤلاء الأئمة قد سبق تعيينهم منذ الأزمنة السحيقة فهم أنوار، وهم كانو حافين منذ الأزل حول العرش، وهم وكلاء عن الله فى التصرف فى الأكوان ومن ثم فهم لا يقتصرون على الولاية الاعتبارية ، بل يتجاوزون ذلك إلى الولاية التكوينية.

ولا يمكن بيان عقائد الفروع الشيعية فى هذا المجال بدقة، إلا إذا تم عرضها فى سياقها، اثناء الحديث عن كل حزب منها، ومن ثم فإنه يحسن تأجيل العرض التفصيلى لذلك إلى مناقشة كل حزب على حدة من خلال السياق التاريخى والفكرى.

## الفصل الثانى

# أحزاب السلطة البشرية

أولا : حزب الأغلبية (أهل السنة)

ثانيا : حزب الخوارج

ثالثا : الحزب الزيدى

**أولا - حزب الأغلبية (أهل السنة)**

تردد هذا المصطلح كثيرا عبر تاريخ الفكر الإسلامى، منذ بدأت الأحزاب السياسية والفرق الكلامية تتميز وتتحدد معالمها، غير أنه لا يمكن تحديد البداية الحقيقية لهذا المصطلح، والأكثر من ذلك ان مفهوم هذا المصطلح لا يمكن تحديده بدقة، بحيث يتبين ما إذا كان يمكن تصنيف من يقول بأنه من أهل السنة والجماعة تحت فرقة كلامية معينة أو تحت حزب سياسى معين، ولدلك وجد ان مفهومه قد يضيق وقد يتسع فى مناسبات مختلفة، اذ قد يوضع فى مقابل المعتزلة وذلك حين أعلن أبو الحسن الأشعرى أنه قد خرج على مبدأ الاعتزال ، وأنه سيناصر مذهب أهل السنة والجماعة، وبذلك يكون هذا المصطلح ذا طابع كلامى.

وقد يوضع فى مقابل الشيعة عموما، فيقال هذا شيعى، وهذا سني، ويكون الشيعى من والى عليا وفضله على أبى بكر وعمر وعثمان، أو والي عليا واعتبر الثلاثة مغتصبين لحقه الذى اختاره الله له وهو خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم، أما السنى فهو الذى يعتقد بأفضلية الخلفاء الراشدين طبقا لترتيبهم فى التولية، على اعتبار أن المسلمين أجمعوا على ذلك، والإجماع مصدر من مصادر التشريع.

وقد يطلق على أنه مقابل أهل البدعة، فجميع من تمسكوا بنهج القرآن ونهج النبي صلى الله عليه وسلم دون ان يحدثوا ما لم يرد فى القرآن، ولم

يقره الرسول فهو من أهل السنة، ومن عداهم فهو من أهل البدعة، ومن ثم يمكن ان يوضع أهل السنة فى مقابل جميع الفرق الكلامية، والأحزاب السياسية، ومن ثم فلا يمكن اعتبار أهل السنة فرقة كلامية أو حزبا سياسيا، بل هو التيار العام الغالب على الأمة الإسلامية عقيدة وسياسة.

وهناك مصطلح آخر قد استخدم على سبيل الترادف مع مصطلح أهل السنة، وهو (السلف). فمن اولئك الذين يمكن ان يطلق عليهم لفظ (السلف)؟. هل هم الصحابة فقط؟ أم يمكن ان يضاف اليهم التابعون؟. أو تابعو التابعين؟. مع ان بعضا من الصحابة كان لهم رأى مخالف لجماعة الصحابة من الوجهة السياسية، وحتى تحديد المراد بالصحابى قد اختلف فيه ، فالصحابى،عند أصحاب الحديث هو من لقى الرسول صلى الله عليه وسلم ولو لحظة، وعند الفقهاء من طالت صحبته للرسول. والكلام عن التابعى بالنسبة للصحابى مثل الكلام عن الصحابى بالنسبة للرسول، وكذلك تابع التابعى بالنسبة للتابعى[1].

وحتى أصحاب الحديث هؤلاء، هل المقصود بهم من تخصصوا فى الرواية دون أن يتجاوزا ذلك إلى الحديث عن الأحكام؟، ويكونون بذلك فى

---

(١) النووى : مقدمة شرح صحيح مسلم، القاهرة، مطبعة حجازى، د.ت، جـ١ ، ص ٣٥، ٣٦.

مقابل الفقهاء الذين ينقسمون إلى الفقهاء اصحاب الحديث أى الذين يقدمون الإستشهاد بالحديث على الرأى مثل الإمام احمد والإمام الشافعى، وإلى الفقهاء اصحاب الرأى الذين يقدمون الإستشهاد بالرأى على حديث الآحاد مثل الإمام أبى حنيفة.

وكلمة (السنة) وحدها دون أن يضاف اليها كلمة (أهل) تستخدم فى معنيين مختلفين طبقا للسياق الذى تستخدم فيه. فإذا ذكرت فى مقابل المفروض أو الواجب من الأمور الشرعية العملية كان معناها "الطريقة المسلوكة فى الدين، من غير افتراض ولا وجوب، فالسنة ما واظب النبى صلى الله عليه وسلم عليها، مع الترك أحيانا، فإن كانت المواظبة المذكورة على سبيل العبادة فسنن الهدى، وإن كانت على سبيل العادة، فسنن الزوائد، فسنة الهدى ما يكون إقامتها تكميلا للدين، وهى التى تتعلق بتركها كراهة أو إساءة، وسنة الزوائد هى التى أخذها هدى، أى إقامتها حسنة، ولا يتعلق بتركها كراهة ولا اساءة، كسير النبى صلى الله عليه وسلم فى قيامه وقعوده ولباسه وأكله"[١].

وقد تستخدم (السنة) فى سياق آخر بحيث تقابل الكتاب، وتعنى عندئذ ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم تبيانا للكتاب " ويدخل فى ذلك

---

(١) الجرجانى :التعريفات، القاهرة، الحلبى، ١٩٣٨م. ص ١٠٧، ١٠٨

أقوال النبى عليه السلام، وأفعاله، وتقاريره"[1]. وبذلك يكون المراد بالسنة هنا المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بمعنى أن الحكم إن لم يكن فى كتاب الله، فعلى الفقيه أن يتصفح أقوال الرسول وأفعاله وتقاريره ليلتمس حكما للمسألة موضوع البحث.

والإمام أحمد بن حنبل وهو محدث وفقيه، يروى عنه قوله "صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة من شهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأقر بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل، وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه، ولم يشك فى إيمانه، ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب، وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله، وفوض أمره إلى الله.. وعلم ان كل شئ بقضاء الله وقدره : الخير والشر جميعا، ورجا لمحسن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وتخوف على مسيئهم، ولم ينزل احدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة بالإحسان، ولا النار بذنب اكتسبه، حتى يكون الله الذى ينزل خلقه حيث يشاء، وعرف حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه، وقدم أبا بكر وعمر وعثمان، وعرف حق على بن أبى طالب، وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد بن

---

(١) الآمدى: الإحكام فى اصول الأحكام، القاهرة، مكتبة صبيح، ١٩٦٨، حـ١، ص ١٢٧.

عمرو بن نفيل على سائر الصحابة... وترحم على جميع أصحاب محمد صغيرهم وكبيرهم، وحدث بفضائلهم، وأمسك عما شجر بينهم... والقرآن كلام الله وتنزيله وليس بمخلوق، والايمان قول وعمل ، ويزيد وينقص، والجهاد ماض. منذ بعث الله محمدا ، إلى آخر عصابة يقاتلون الدجال... والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيف، ولا تقاتل فى فتنة، وتلزم بيتك... والإيمان بعذاب القبر... والإيمان بالحوض والشفاعة والإيمان أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى، والإيمان بأن الموحدين يخرجون من النار بعد ما امتحنوا"[1].

وبذلك يتبين أن أهل السنة ذوو سمات عقدية، وسمات سياسية فالسمات العقدية تتصل بالإيمان وما يتعلق به، والسمات السياسية تتصل بأمرين: أولهما: الاعتراف بخلافة الخلفاء الراشدين على حسب الترتيب، وعدم الخوض فيما شجر من خلاف بين الصحابة حول الخلافة، بالطعن فى هذا أو ذاك، بل تفويض أمرهم إلى الله؛ والثانى: عدم شق عصا الطاعة على الإمام المنصوب أيا كانت طريقة نصبه، وعدم الاشتراك فى الفتن السياسية وبذلك يكون أهل السنة عند الإمام أحمد، هم من ليسوا خوارج ولا شيعة من

---

(١) د. عبد المحسن بن عبيد بن عبد المحسن: مختصر مناقب أحمد بن حنبل، لأبى الفرج بن الجوزى ، الرياض، د.ت، ص ٧٤، ٧٥.

الوجهة السياسية، وليسوا قدرية ولا جهمية، ولا معتزلة، من الوجهة العقدية.

ويكاد الأشعرى (ت ٣٣٠هـ) يقترب مما سبق أن قاله الإمام أحمد، بل إنه يكاد يكون أكثر تحديدا منه، إذ يعقد فصلا فى إبانة أهل الحق والسنة فيقول: "فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية، والجهمية والحرورية، والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذى به تقولون، وديانتكم التى بها تدينون"، وهذا تحديد لمفهوم أهل السنة عن طريق السلب، بمعنى أنهم من عدا هذه الطوائف المشار اليها، وهى طوائف منها ما هو سياسى ومنها ما هو عقدى، ولا يكتفى بهذا المفهوم السلبى، بل يحدد معالم أهل السنة سياسيا وعقديا من خلال رده على السائل فيقول: "قولنا الذى نقول به، وديانتنا التى ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل، نضر الله وجهه. ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل" غير انه لا يكتفى بهذه الإحالة، بل يزيد الأمر تفصيلا وشرحا فيضيف "وجملة قولنا : أنا نقر بالله وملائكته، وكتبه ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم... وأن الله عز وجل إله واحد فرد صمد، لم يتخذ صاحبه ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الجنة والنار حق... وأن الله تعالى استوى على العرش، على

الوجه الذى قاله، وبالمعنى الذى أراده... وأن لله سبحانه وجها بلا كيف... وأن لهِ سبحانه يدين بلا كيف،... وأن له سبحانه عينين بلا كيف... وأن من زعم أن أسماءه تعالى غيره كان ضالا ؛ وأن لله علما... ونثبت لله السمع والبصر.. ونثبت ان لله قوة... ونقول إن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى لم يخلق شيئا إلا وقد قال له (كن)... وأنه لا يكون فى الأرض شئ من خير أو شر إلا ما شاء الله..."[١].

ويصنف عدى بن مسافر (ت ٥٥٧هـ) رسالة بعنوان (اعتقاد أهل السنة والجماعة)[٢]، ولا يخرج فيما قاله عما ذكره الإمام احمد والإمام أبو الحسن الأشعرى، ولا سيما فيما شجر بين على ومعوية فإنه يجب الكف عما شجر بينهما وبين غيرهما من الصحابة، وأنهم فى الجنة لأن كلا الطرفين مجتهد والاجتهاد من الملة حتى ولو أدى إلى خطأ[٣].

---

(١) الأشعرى: الإبانه عن أصول الديانة، تحقيق الدكتورة فوقية حسين، القاهرة، دار الأنصار، ١٩٧٧م، ص ٢٠-٢٤.

(٢) عدى بن مسافر الأموى: اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق محمد على إلياس العدوانى، وإبراهيم النعمة، بغداد، رئاسة ديوان الأوقاف، ١٩٧٥، ص ٢١ وما بعدها.

(٣) المرجع السابق : ص ٢٧، ٢٨.

وهناك البيهقى (ت ٤٥٨هـ) أحد رجال الحديث يصنف كتابا تحت عنوان (الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة) يكتفى فيه بإيراد الأحاديث التى صحت لديه عن عقائد أهل السنة والجماعة، وآرائهم السياسية، فيأتى متفقا مع ابن حنبل والأشعرى وابن مسافر، ويحث على موالاة ابى بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعلى ترتيبهم فى الأفضلية حسب توليهم الخلافة[١]، ويروى الأحاديث التى تحث على لزوم الجماعة، وعدم الخروج على الإمام، وتجنب الفتن[٢]. وهكذا.

* * *

بعد هذا العرض السابق، هل يمكن اعتبار، أهل السنة، أو من يلتزمون بما كان عليه السلف من الصحابة الذين أيدوا خلافة ابى بكر، وعمر وعثمان وعلى، والذين يرون الالتزام بطاعة الإمام سواء أكان مختارا من أهل الحل والعقد ابتداء، أو مختارا بواسطة واحد أو اثنين من أهل الحل والعقد، ثم بايعه سائر المسلمين، أو متغلبا على الإمامة والخلافة واستتب له الأمر، أقول: هل يمكن اعتبار هؤلاء حزبا سياسيا؟. أو بالأحرى حزب الأغلبية.

(١) البيهقى: الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨٦، ص ١٨٩.

(٢) المرجع السابق: ص ١٣٨.

يبدو أن الأمر كذلك، ما دمنا نتحدث عن الأحزاب السياسية فى الإسلام، أجل إن أصحاب هذا الاتجاه يركزون على العقائد، أكثر من تركيزهم على النواحى السياسية، وهذا شئ طبيعى يتفق مع ما سار عليه أهل السنة بالمفهوم الذى انتهينا اليه، وهو أن الإمامة ليست من الأمور العقدية، ولكنها من الأمور الشرعية العملية، وهذا واضح من تصويب أصحاب هذا الاتجاه لكلا الفريقين من الصحابة ، المتنازعين أيام على ومعاوية، إذ إنهم يضعون هذا النزاع موضع الاجتهاد، والاجتهاد لا يؤدى إلى تجريم المجتهد حتى ولو أخطأ. ومن ثم فإن خلافة بنى أمية وبنى العباس، ومن جاء بعدهم صحيحة، ولا ينظرون إلى أية سلطة من هذه السلطات المشار اليها إلا على أساس انها سلطة شرعية بمعنى أنهم يقرونها ويعترفون بها، وكل خليفة من هؤلاء وإن جار وانحرف لا تجوز الثورة أو الخروج عليه، وغاية ما هناك أن من الواجب توجيه النصح اليه فيما جانبه الصواب فيه من أمور. ولذلك يروى البيهقى حديثا فى ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم " سيكون عليكم أئمة، تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر – قال مسدد فى حديثه: قال الحسن، وقال سليمان: قال هشام:– بلسانه فقد برئ، ومن كره بقلبه، فقد سلم، ولكن من رضى وتابع، فقيل يارسول الله! أفلا

نقاتلهم؟.. قال : لا، ما صلوا"[١].

ومن هنا نجد أن أهل السنة يلتزمون بالسمع والطاعة لأئمة المسلمين واتباعهم والصلاة خلف كل بر وفاجر، ويجاهدون مع كل خليفة برا كان أو فاجرا[٢].

* * *

وقد ذهب أهل السنة إلى نفى أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد نص على على بن أبى طالب، بل يشاركهم فى ذلك حزب الخوارج، وفرقه المعتزلة[٣]، ويوردون بعض الأحاديث التى يذهب الشيعة إلى أنها تدل على التعيين كما يدعى الشيعة أن هذه الأحاديث بلغت حد التواتر ، لكن أهل السنة يردون عليها على نحو ما يلى :

يقول أهل السنة إنه ليس من المعقول أن يكون هناك مثل هذا النص ويكتمه صحابة رسول الله صلى الله عليهم وسلم و هم المهاجرون والانصار وخاصة بعد اجتماع السقيفة، ولو كان الصحابة هؤلاء،قد كتموا مثل هذا النص، لما سكت على ذلك بنو هاشم وهم إذ ذاك كثير بينما أبو بكر رجل ضعيف

---

(١) المرجع السابق: ص ١٣٩.

(٢) عدى بن مسافر: اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص ٣٣.

(٣) سعد الدين التفتازانى: مقاصد فى علم الكلام، حـ٢، ص ٢٨٣.

وأهله قله فى قريش، ولم يكن من المعقول أن يسكت على رضى الله عنه تقية وهو القوى، فى الحق. كما أن فى ذلك اتهام جميع صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيانة وترك الحق واتباع الهوى، وكيف يظن بجماعة رضى الله عنهم، وآثرهم بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونصرة دينه، ووصفهم بكونهم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقد تواتر منهم الإعراض عن متاع الدنيا، والاقبال على بذل مهجهم وذخائرهم وقتل أقاربهم وعشائرهم فى نصرة رسول الله.، وإقامة شريعته كيف يظن بهم بعد ذلك كله انهم خالفوه قبل أن يدفنوه. وكيف يظن بعلى نفسه أنه اتبع الباطل وكتم الحق، وكيف يظن بالنبى صلى الله عليه وسلم أن يتخذ القوم أحبابا وأصحابا وأعوانا وأصهارا، وأختانا، مع علمه بحالهم فى ابتدائهم ومآلهم، بل كيف يظن بكتاب الله هذا الظن وهو قد أثنى عليهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، ووصفهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر!.

ويذهب أهل السنة أيضا إلى أن هناك أمارات وروايات تفيد باجتماعها القطع بعدم النص، كقول العباس لعلى امدد يدك أبايعك حتى تقول الناس هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان، وقول عمر رضى الله عنه لأبى عبيدة رضى الله عنه أمد يدك أبايعك، وقول أبى بكر بايعوا عمرا وأبا عبيدة، وقوله وددت أنى سائل النبى صلى الله عليه

وسلم عن هذا الأمر فيمن هو، وكنا لا ننازعه، وكدخول على رضى الله عنه فى الشورى، فإنه رضى بإمامة أيهم كان، وكقوله لطلحة إن أردت بايعتك، وكاحتجاجه على معاوية ببيعة الناس له، لا بنص من النبى صلى الله عليه وسلم، وكقوله حين دعى إلى البيعة اتركونى والتمسوا غيرى، ومعاضته أبا بكر وعمر، والإشارة عليهما بما هو أصلـح، حين خرج أبو بكر لقتال العرب، وعمر لقتال فارس، وكعدم تعرضه لذلك النص فى خطبه ورسائله ومفاخراته ومخاصماته، وعند تأخره عن البيعة، وكإنكار زيد بن على مع علو رتبته هذا النص.

أما احتجاج الشيعة بأنه يستحيل أن يترك النبى هذا الأمر الجليل دون النص، مع بيان ما هو أقل القليل منه، فالجواب أن ترك النص بهذه المثابة ليس إهما لا بل تفويض معرفة الحق إلى آراء أولى الألباب ،وإختيار أهل الحق والعقد من الأصحاب ، وأنظار ذوى البصيرة بمصالح الأمور، وتدبير الجمهور[1].

أما موقف أهل السنة من الخوارج من الوجهة السياسية فإنه يتحدد بالخلاف بين الحزبين الذى يدور على محور الإمامة القرشية أو الإمامة المطلقة بين المسلمين. فالخوارج يقولون بإطلاقها، على حين يذهب أهل السنة

(١) المرجع السابق، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

إلى اشتراط أن يكون الإمام قرشيا تمسكا بالنص الوارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم[١]، ومع ذلك فإنهم يذهبون إلى التنازل عن هذا الشرط عند عدم توافره، بل يكتفون بمجرد توافر الشوكة[٢] فى الإمام، ولذلك برر ابن خلدون[٣] هذا الشرط بأن المقصود به وجوب عصبية تحمى الإمام.

أجل هناك خلاف عقدى بين أهل السنة، والخوارج إذ يذهب الأخيرون إلى كفر مرتكب الكبيرة، بينما أهل السنة يفوضون أمره إلى الله إن شاء عذبه أو شاء عفا عنه.

أما خلافهم مع الزيدية فإنه يتركز فى أن الزيدية يحددون الخلافة فى أى واحد من نسل على كائنا من كان بشرط الخروج ، فى حين يرى أهل السنة عدم الخروج على الإمام أيا كان هذا الإمام. كما أن الزيدية لا يرفضون خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وهم بذلك يوافقون أهل السنة.

ولعل فيما يلى يزداد الأمر وضوحا عند الحديث عن الخوارج والزيدية.

---

(١) مسلم : الصحيح بشرح النووى، كتاب الإمارة، جـ١٢.

(٢) سعد الدين التفتازانى : مقاصد، حـ٢، ص ٢٨١.

(٣) ابن خلدون: المقدمة: ص ٧٢.

## ثانيا - حزب الخوارج :

مما لاشك فيه أن هناك عوامل كثيرة كانت وراء قيام هذا الحزب، فلم يكن العامل الدينى وحده هو الذى وقف وراء خروج هؤلاء، لم تكن رؤيتهم لبعض الانحراف المالى أو الإدارى مما ينافى الدين ويباعده هى المسئولة وحدها عن هذا الانشقاق الخطير الذى حدث فى جسم الدولة الإسلامية، فقد كان هناك إلى جانب ذلك، عامل العصبية العربية، وعامل الدسيسة الخارجية، ولم تكن هذه العوامل مجتمعة بمؤثرة فى كل فرد من أفراد الخوارج بل هناك من هؤلاء من وقع تحت تأثير الدين، ومنهم من وقع تحت تأثير العصبية، ومنهم من خضع للدسائس الخارجية.

غير أنه يمكن أن يقال إن هذا الحزب كان معظم عناصره من البدو، ومن ثم كان إدراكهم للدين إدراكا سطحيا، وهذا الإدراك صاحبه إخلاص عند الجمهور الأعظم منهم مما دفعهم إلى أن ينكروا على كل من يخالف أمرا من أمور الدين بحسب فهمهم وإدراكهم، وهذا الإدراك جعلهم يصدرون أحكاما حادة على من يقصر فى جزء واحد من جزئى الايمان وهو الاعتقاد والعمل، بل إنهم اعتبروا من الأعمال الدينية مما قد لا يكون له مدخل فى

أمور الدين من حيث اختلاف وجهات النظر، ولعل قوما من قادتهم قد استغل فيهم هذا الضعف فى الفهم، وهذا الحماس والإخلاص، فاستثمروا ذلك فيما يحقق مراميهم البعيدة.

وهكذا تشابكت العوامل، وتقابلت الأهداف، وتعانقت الاتجاهات، وغطى على ذلك كله دعوة شاملة إلى إحقاق الحق، وإظهار معالم الدين. فخدع من خدع، وانجرف من إنجرف،مع هذا السيل الجارف، وهو مخلص فى عقيدته، ولكنه أخطأ السبيل، وخانته الوسيلة.

ويصبح من حق الباحث ان يوافق من ذهب إلى أن حادثة التحكيم، وما آنتهى إليه من مأساة، كان أوهى الأسباب وأضعفها[1].

فمن بين العناصر المكونة لجيش على، كانت القيسية واليمانية، وهؤلاء يرون أنه لا يصح أن يقتصر الحكم على قريش التى هى فرع من مضر، وهذا الأمر سيتضح بعد ذلك، فى الرأى الذى أعلنه الخوارج من أن الخلافة ينبغى أن يتولاها أى مسلم قرشى كان أو غير قرشى، حتى ولو كان عبدا حبشيا كأن رأسه ذبيبة.

---

(١) يوليوس فلهوزن: الخوارج والشيعة، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى، الكويت، وكالة المطبوعات، ط٣، ١٩٧٨، (مقدمة المترجم). ص ١٣.

وتتضح النظرة العصبية هذه، عندما كان الأشعث بن قيس يقرأ نص الاتفاق علي التحكيم على مسمع من عناصر جيش على، فثار عروة بن أدية على الأشعث، وضربه بسيفه على مؤخرة دابته، عند ذلك ثارت اليمنية. انتقاما لإهانة الأشعث، لولا أن تدارك الأمر عقلاء بنى تميم[1].

أما الإخلاص الدينى فإنه يتضح فى طبقة القراء الذين كانوا يشكلون عنصرا كبيرا فى جيش على، ولعلهم وراء التوقف عن القتال، عندما رأو المصاحف ترفع على أسنة رماح جيش معاوية.

والدسيسة الأجنبية يمكن ملاحظتها فى أن كثيرا من العناصر التى كونت جيش على كانت أصلا من اليمن، ومن قبائل شرق الجزيرة العربية، وقد كانوا قديما عملاء للفرس، منذ الجاهلية، وكثير منهم شكلوا معظم العناصر المرتدة فى عهد أبى بكر، وكانت معظم أسباب الردة بإشارة من ملوك الفرس المتربصين بالإسلام، كما كان الكثير من هؤلاء يمثلون عناصر قوية من أولئك الذين أحاطوا بعثمان، عند الثورة عليه ثم قتله. كل هذا يفسر ما روى من أن رجلا من بنى يشكر كان مع على رضى الله عنه بصفين ولما اتفق الفريقان على التحكيم ، ركب وحمل على أصحاب على وقتل منهم رجلا،

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، حـ١. ص ٣٣٣٨. وانظر الشهرستانى: الملل والنحل، حـ١، ص ١١٨.

ثم حمل على أصحاب معاوية، وقتل منهم رجلا، ثم نادى بين العسكرين: أنه بريئ من على ومعاوية، وأنه خرج من حكمهما[١].

ويروى الشهرستانى كلاما ربما أكد هذه الحقيقة إذ يقول: " إعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين على رضى الله عنه جماعة ممن كان معه فى حرب صفين، وأشدهم خروجا عليه، ومروقا من الدين الأشعث بن قيس الكندى، ومسعر بن فدكى التميمى، وزيد بن حصين الطائى، حين قالوا: القوم يدعوننا إلى كتاب الله، وأنت تدعونا إلى السيف؟ حتى قال: أنا أعلم بما فى كتاب الله، انفروا إلى بقية الأحزاب، انفروا إلى من يقول: كذب الله ورسوله، وأنتم تقولون: صدق الله ورسوله، قالوا: لترجعن الأشتر (قائد جيش على) عن قتال المسلمين وإلا فعلنا بك ما فعلنا بعثمان، فاضطر على إلى رد الأشتر، بعد أن هزم الجمع وولوا مدبرين، وما بقى منهم إلا شرذمة قليلة، فيهم حشاشة قوة، فامتثل الأشتر أمره"[٢]. فهم إذن الذين ثاروا على عثمان، ثم هم الآن يثورون على علىّ، فإما أنهم لا يريدون لقريش الخلافة، وإما أنهم لا يريدون للإسلام دولة، وتقف العصبية وراء الاحتمال الأول، والدسيسة الأجنبية وراء الاحتمال الثانى، خاصة أنه قد قيل كلام كثير حول دور عبد الله

---

(١) على مصطفى الغرابى: تاريخ الفرق الإسلامية، القاهرة، محمد على صبيح، د.ت، ص٧٢.

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل، جـ١، ص ١١٤.

بن سبأ فى هذه الأمور كما سيأتى شرحه.

والغريب أن هؤلاء الخوارج الذين أجبروا عليا على قبول التحكيم هم أنفسهم الذين لاموه بعد التحكيم على قبوله" وقالوا: لم حكمت الرجال؟ لا حكم الا لله"[١]. وقد عقب الإمام علىّ على ذلك بقوله " كلمة حق يراد بها باطل"[٢] أو قال " كلمة عدل أريد بها جور، إنما يقولون : لا إمارة، ولابد من إمارة بر أو فاجر"[٣]

وهنا ينبغى أن نذكر بحقيقة على قدر كبير من الأهمية، وهى أن الكثيرين ممن يتصدرون للدعوة الإسلامية قديما وحديثا، قد أعجلتهم شهوة الفتيا، ومحاولة الإصلاح، فشغلهم ذلك عن إنضاج أفكارهم، ومحاولة بلورتها، بحيث ينظرون إلى أية قضية إسلامية من جميع زواياها، ولذلك يقعون فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الخوارج، سواء أكان ذلك عن حسن نية، أو عن سوء نية، فيتشبثون بهذه القولة (لا حكم إلا لله)، أو يستشهدون بالعبارة القرآنية الكريمة منزوعة من سياقها وهى ( إن الحكم إلا لله) دون أن يفطنوا إلى أن أغلب المشكلات التى تتطلب حكما، لا يمكن أن يصدر فيها

---

(١) المرجع السابق: ص ١١٥.

(٢) المرجع السابق: ص ١١٦.

(٣) المرجع السابق: ص ١١٧.

حكم إلا بعد بذلك الجهد العقلى البشرى، إما فى فهم النص، إذا كان فى المشكلة حكم منصوص، وإما فى قياسها على مشكلة فيها حكم منصوص، وإما فى إنشاء حكم جديد غير مسبوق بمثال منصوص عليه، وذلك كله فى إطار روح الإسلام العامة التى تهدف الى حفظ الدين والنفس والمال والعرض والعقل.

وفى حالة المشكلة التى كانت قائمة بين على ومعاوية، يقول تعالى:"وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله" فإن فاءت فأصلحوا بينهما[١]. فالله تعالى هنا يفوض الحكم بين الطائفتين المتقاتلتين إلى المسلمين، فالحكم للمسلمين يأمر من الله. ولذلك كان على رضى الله عنه على حق حينما قال (كلمة حق أريد بها باطل) معقبا على قول الخوارج (لا حكم الا لله).

## أدوار الخوارج :

ويمكن تقسيم الخوارج قسمين الأول : المحكمة الأولى أو سلف الخوارج، والثانى خلفهم.

أما **القسم الأول** فيشمل الخوارج من ظهورهم بعد معركة صفين -على نحو ما سبق - حتى هزمهم على بن أبى طالب فى النهروان وشتتهم.

---

(١) الحجرات/ ٩.

**والقسم الثانى** هم الذين بقوا بعد هذه الهزيمة وتوزعوا فى البلاد ومنهم بدأت تظهر فروع كثيرة.

وذلك أنه بعد معرفة نتيجة التحكيم تجمع الخوارج فى اثنى عشر الفا تحت زعامة عبد الله بن الكواء ، وشبت بن ربعى، وأخذ على يناظرهم، فطلب ابن الكواء الأمان ومعه الف رجل، وذهب الآخرون إلى النهروان بزعامة عبد الله بن وهب الراسبى، وحرقوص بن زهير البجلى، وذهب اليهم علىّ هناك، وأخذ يناظرهم، ولكنهم اصروا على موقفهم فقاتلهم حتى قضى عليهم، ولم يبق منهم سوى تسعة نفر، تفرقوا فى نواح مختلفة.

وقد أوصل بعض المؤرخين ما تفرع من الخوارج اثنين وعشرين فرعا وذهب البعض إلى انهم اكثر من ذلك، على حين ذهب فريق ثالث إلى أنهم اقل من هذا العدد.

وقد لاحظ بعض المؤرخين ان ظهور فرع جديد منشق على فرع رئيسى ربما كان يحدث لأوهى الأسباب، مما يدل على النزق والتهور، وحدة الطبع لدى هؤلاء النّاس، إذ معظمهم آمن بالإسلام إيمانا بدويا سطحيا- كما سبق- فيروى الاشعرى أن أحد الخوارج خطب بنتا لثعلبة الخارجى، فأرسل الخاطب يسأل أم العروس، إذ كانت ابنتها قد بلغت الحلم، واسلمت بعد البلوغ ام لا. فقالت الأم: ان ابنتى مسلمة، سواء أبلغت أم لم تبلغ، فأعاد الخاطب الطلب، وحدثت ملاحاة بينه وبين الأم. فنهاهما ثعلبة والد العروس

عن هذه الملاحاة، ريثما يستفتى عبد الكريم بن عجرد أحد رغماء الخوارج فى هذا الأمر. فقال عبد الكريم نعم انه يجب دعوتها إلى الإسلام بعد بلوغها، إذ كانوا يعتقدون أن اولاد المسلمين ليسوا على الإسلام، ولكن هذه الفتوى لم تعجب ثعلبه، فانشق على العجاردة، لهذا السبب، وكون فرعا جديدا من فروع الخوارج[1].

ومن هذه الفروع: الأزراقة، الإباضية، والنجدات، والصفرية، والبيهسية والعجاردة، والثعالبة، والعطوية، والصالحية، والحسينية، والراجعة ، والشيبية وغيرهم.

**السبب المباشر لخروج الخوارج :**

يتركز هذا السبب فى قضيتين رئيسيتين :

**الأولى** : عدم حصر الإمامة أو الخلافة فى قبيلة قريش، كماا يذهب أهل السنة والجماعة، على نحو ما سبق، فضلا عن بنى هاشم، كما يذهب فرق الشيعة. ومن ثم فإنهم يكونون على النقيض من الحزبين المشار اليهما، وهذا طبعا سبب سياسى يمكن وصفهم فيه بقصر النظر. لأن السلطة الحاكمة لابد لها من قوة، وشوكة تساندها وتعضدها، ولو أنهم كانوا على

(١) الأشعرى: مقالات الاسلاميين، حـ١، ص ١١٢-١١٣.

بالمستقبل لادركوا أنه ربما يأتى اليوم، وتزول شوكة قريش، ويبقى معنى الشرط، وهو الشوكة أيا كان موضعها من مختلفة القبائل والشعوب.

**الثانية** : تكفير مرتكب الكبيرة، وهنا تتحقق السطحية تماما، لأن ما لا يدرك كله لا يترك كله، فإذا نقص العمل وبقيت العقيدة، يكون أفضل من حرمان المسلم من كليهما إذا فقد العمل، ومن هنا يظهر أنهم لم يحولوا المسألة السياسية البحتة إلى عقيدة فحسب، بل حولوا السلوك العملى كله سياسيا كان أو عباديا إلى عقيدة، وإن كانوا يختلفون عن الشيعة فى هذه الناحية، إذ إن الشيعة يعتقدون بالنص الالهى على الإمام. ولكن هؤلاء يجعلون مخالفة حكم الله كبيرة يكفر صاحبها. ثم يذهبون فى تحديد نوع العمل الذى يعتبرونه كبيرة مذهبا غير مقبول لا شرعا ولا عقلا، ومن هنا اعتبروا عليا ومعاوية – وقد قبلا تحكيم الرجال – كفارا لانهما عدلا عن تحكيم الله.

**آراؤهم السياسية وما تفرع عنها من آراء كلامية :**

إن الخوارج، وإن كانو حزبا سياسيا، لم يكونوا بعيدين عن الآراء الكلامية لأن الدين والسياسية في أذهان هؤلاء كان شيئا واحدا.

ولعل السب فى ذلك هو ما رأوه من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعو إلى الدين، ويدير الدولة فى وقت واحد ، ولكنهم لم يفطنوا إلى أن تركه

للخلافة دون ان يحدد من يتولاهما إنما يعنى ان هذا متروك للمسلمين ومادام الأمر كذلك فلا علاقة للسياسة بالعقيدة .

ومن أخطر ما ذهبوا إليه فى أمور السياسة هو اشاعة الاختيار لمنصب الخليفة بين جميع المسلمين كما سبق.

ومظهر هذا المبدأ السياسى قد يكون براقا، بل ربما أعجب البعض فى أيامنا هذه، خاصة وقد تلاشت قريش، كما أن التاريخ قد أثبت أن أناسا من غير قريش، بل من غير العرب قد تولوا هذا المنصب الخطير، وحملوا عبئه على خير وجه، ورفعوا رايه الإسلام إلى أصقاع جديدة من العالم كالخلافة العثمانية. ومع ذلك فإن دعوة الخوارج هذه كانت لها خلفية أبعد مما قد يظن البعض من ان هذا المبدأ لدي الخوارج أو غل فى الديمقراطية[1]، وهذا الإيغال راجع إلى العصبية القبلية كما سبق، لأن ذلك يذكر بما ذهب اليه المرتدون من بنى حنيفة أيام أبى بكر من أنهم يريدون اقتسام الحكم مع قريش، ومن ثم فإن المسألة لا تمت إلى الديمقراطية بسبب، بل هو الطمع القبلى فى السيطرة على الدولة.

ولعلهم قد قالوا ذلك من أجل اختيار رئيس منهم يلتفون حوله، ولذلك نادوا بالخروج بالسيف، فى وجه من لم يلتزم بمبادئهم، كما أنهم يذهبون إلى

---

(١) فلهوزن : الخوارج والشيعة، مقدمة المترجم ، ص ١٥.

أن الإمام الذى يختارونه إذا خرج عن مبادئهم أو جار، أو أنحرف عن الجادة عزلوا بالقوة.

أما المبدأ المتصل بالعقيدة وهو تكفير مرتكب الكبيرة، فقد تطور من تكفيرهم لعلى ومعاوية، وعمرو بن العاص. وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعائشة أم المؤمنين، إلى تكفير المجتمع كله ممن لا يوافقهم فى آرائهم السياسية والعقدية، وبلغ بالبعض منهم إلى اعتبار انفسهم فى حال هجرة مثل هجرة الرسول، ومن ثم فإن الدار دار حرب، وعليه فإن نساء مخالفيهم وممن يقعون فى أيديهم سبايا، ورجالهم أسرى.

وهذا يعنى في النهاية ضمور المجتمع الإسلامى، وإذا كانت الفتوحات الإسلامية قد أوصلت الإسلام إلى بقاع شاسعة خارج الجزيرة العربية، فإن الخوارج يقسرونه على التقلص والعودة إلى داخل الجزيرة بل لا يتمثل إلا فى بضع مئات من هؤلاء البدو الذين لم تصقلهم روح الإسلام ولا حضارته.

فما أشبه الليلة بالبارحة...

**ثالثا - الحزب الزيدى :**

هل سمع أحد من الإمام الحسين أنه خرج من المدينة متوجها إلى العراق تنفيذا للنص الذى صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم بتعيين على بن أبى طالب وولده من بعده؟. الحق أنه لم يرد ذلك أبدا، بل إن خروج الحسين كان بسبب المراسلات التى تمت بينه وبين أهل العراق. ورأى أن تعيين يزيد بن معاوية خليفة للمسلمين فيه ما فيه، لأنه لا يستحق أن يحمل لقب خليفة رسول الله، لما شاع عنه من استهتار ومجون، خرج الحسين رغم نصيحة ابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن جعفر، وبذلك يعتبر الحسين سلفا لحفيده الإمام زيد بن على زين العابدين بن الحسين (٨٠-١٢٢هـ)، ولذلك كان خروج الحفيد مشابها لخروج الجد.

وهنا ينبغى التوقف عند المناقشة التى دارت بين (زيد) وبين الذين بايعوه من أهل العراق، فقد سمع بعضهم يطعن على أبى بكر وعمر، ولكنه أنكر على من طعن، فتفرق عنه الذين بايعوه، فقال لهم: (رفضتمونى)، ولذلك قيل إنهم سموا بالرافضة منذ ذلك اليوم[١]، ويذهب الشهرستانى[٢] إلى أنهم طعنوا على الشيخين بعد أن رأوا الإمام زيدا يعتقد بجواز امامة المفضول مع

---

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص ١٣٧.

(٢) الشهرستانى :الملل والنحل، جـ١، ص ١٥٥.

وجود الأفضل، " ويقول: كان على بن أبى طالب رضى الله عنه أفضل الصحابة، إلا أن الخلاف فوضت الى أبى بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين ثائرة الفتنة ، وتطييب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التى جرت فى أيام النبوة كان قريبا، وسيف أمير المؤمنين على من دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد، والضغائن فى صدور القوم من طلب الثأر كما هى، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين، والتؤدة والتقدم بالسن، والسبق فى الإسلام، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا ترى أنه لما أراد فى مرضه الذى مات فيه، تقليد الأمر عمر بن الخطاب زعق الناس وقالوا: لقد وليت علينا فظا غليظا، فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب لشدته وصلابته، وغلظته فى الدين ، وفظاظته على الأعداء، حتى سكنهم أبو بكر بقوله (لو سألنى ربى لقلت: وليت عليهم خيرهم لهم)، وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماما، والأفضل قائم، فيرجع إليه فى الأحكام، ويحكم بحكمه فى القضايا" وبعد هذه المناقشة، هل يمكن العثور على نص مروى عن الإمام زيد يخصص فيه الإمامة فى أولاد على؟ أجل لقد قال إن عليا أفضل من أبى بكر وعمر، وأنه كان الأجدر بالخلافة منهما لولا أن الظروف هى التى اقتضت تقدمهما عليه، ومع ذلك فإمامتهما أو خلافتهما شرعية، أى أنه يجيز أن يتولى الخلافة غير العلويين، بشرط ألا

يخالفوا، وأن يسيروا فى الناس السيرة الحسنة، كما فعل الشيخان أما أنه يشترط أن يكون الإمام علويا على شريطة أن يكون ثائرا، أى يخرج بالسيف على أئمة الجور ، فلم يظهر ذلك على لسانه، ومن ثم فقد كان خروجه، خروجا على الإمام الجائر، من باب ( فليغيره بيده). ولذلك كان أن منى بالفشل لاصطدامه مع الرغبة الجامحة عند أهل العراق فى الطعن على الشيخين.

وهنا ينبغى التنبه إلى ما يرويه النوبختى عن أحد الفروع الزيدية وهم اتباع أبى الجارود، ولذلك اطلق المؤرخون عليهم اسم (الجاروديه)، وقد كان هذا معاصرا للإمام زيد، وخرج معه وهو وأتباعه فيمن خرج بالكوفة، وكان يقول هو وأتباعه: الحلال حلال آل محمد صلى الله عليه وآله والحرام حرامهم، والأحكام أحكامهم، وعندهم: جميع ما جاء به النبى وآله كله كامل عند صغيرهم وكبيرهم، والصغير منهم والكبير فى العلم سواء، لا يفضل الكبير الصغير، من كان منهم فى الخرق والمهد، إلى أكبرهم سنا[١].

إذن فالقول بأن زيدا كان يرى أن الإمامة فى كل علوى، يخرج على إمام الجور، غير دقيق، والأجدر أن ينسب ذلك إلى المشرئبين بأعناقهم إلى ضرب الدولة الإسلامية فى صميمها، وإلى انتهاز الفرص للالتفاف حول أى

---

(١) النوبختى: فرق الشيعة، تحقيق هـ. ريتر، استانبول، مطبعة الدولة، ١٩٣١، ص٤٨.

فرد من أفراد البيت العلوى، كى ينفثوا سمومهم ، ويشيعوا ما يريدونه من أساطير حولهم. ومن حسن الحظ أن الإمام زيد ، قد خرج علينا ليكشف هؤلاء أيضا فى وضوح، كما سبق.

ومن هنا كان وضع الإمام زيد ومن سار على نهجه ضمن الأحزاب السياسية الإسلامية، ذات السلطة البشرية، لأنه بالرغم من أنه من أولاد على، فإنه لم يذهب إطلاقا إلى أن الإمامة نص، وأن الإمامة واجبة على الله، وأن الإمام يستمد سلطته من الله، وإلا لما أقر بإمامة أبى بكر وعمر، ولما طلب الأتباع للخروج معه، ولما أخذ البيعة من الذين التفوا حوله.

وهل يمكن للأئمة من آل البيت أن يسمح لهم دينهم بأن يتبنوا العقائد أو الآراء الفاسدة التي تؤدى إلى معارضة الإسلام فى أصوله العقدية؟. إن ما شاع حول الأئمة من زيدية وغيرهم، من عقائد ضالة لم يكن إلا من صنع من حاول أن يحتمى بمظلتهم فى سبيل تحقيق مآربهم.

**ثورة الأئمة الزيدية :**

لقد قيل فى أسباب خروج الإمام زيد فى عهد هشام بن عبد الملك الكثير، منها اتهام الولاة الأمويين له بالنكوص عن دفع مال مستحق عليه فاستدعاه الخليفة هشام بن عبد الملك من المدينة إلى دمشق ، ثم حوله إلى العراق للتأكد من براءته من التهمة، وقد قيل إنه ذهب إلى هشام بن عبد الملك

يشكو اليه واليه على المدينة ، فعامله هشام معاملة سيئة ، وعيره بأنه ابن أمه[1]. غير أن ذلك كله لا يبرر أن يعرض الإمام زيد أتباعه ومشايعيه للخطر والقتل، ويبدو أن المسألة أعمق من ذلك بكثير، وهى أنه رأى سلوك الخليفة الأموى لا يتفق، ودولة الإسلام التى أسسها الرسول، ولا يليق إذن بهذا الخليفة أن يحمل اسم خليفة رسول الله ولذلك خرج، كما سبق أن خرج الحسين، وعبد الله بن الزبير.

فلم يثر الإمام زيد ثورة تحسب للشيعة، بل تحسب لمن يؤمن بالعدل وبرسالة الإسلام، والدليل على ذلك أن كثيرا ممن ليسوا شيعة من الوجهة الرسمية قد أيدوه، ومالوا اليه، فقد كانت المرجئة وأهل النسك لا يعدلون بزيد أحدا [2].

ولكن الشيعة الرسميين يأبون إلا أن ينسبوا اليه ما لم يقله، حتى ولو كانوا لا يعترفون بإمامته، فيروى عنه الكلينى أنه يشترط فى الإمام أن يكون

---

(١) يراجع فى مثل هذه الأسباب:
أ - المسعودى: مروج الذهب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، جـ٣،ص ٢١٨.
ب - ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ط بولاق، حـ٥، ص ٩٠.
جـ- نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، حـ١، ٣١٥.

(٢) محمد محيى الدين عبد الحميد: هامش تحقيق مقالات الاسلاميين، جـ١، ص ١٣٦.

فاطميا شجاعا عالما زاهدا، سخيا، خرج ثائرا على الظلم[١]، وحتى لو اشترط الإمام زيد أن يكون الإمام فاطميا، فإن هذا لا يعنى ما يذهب إليه الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، أو الشيعة الإسماعيلية، أو من قبل ذلك الكيسانية. أن الإمامة من سلطة الله، وإن البشر ليس لهم مدخل فيها، بل إنه، وكما سبق، لم يذهب إلى ذلك ولم يقله، بل المسلمون هم اصحاب الحق فى الاختيار، وأن وجوب الإمامة وجوب على المسلمين، وليس وجوبا على الله، ولم يقتصر الإمام زيد فى مخالفة الحزبين السابق الاشارة اليهما فى ذلك، بل إنه أنكر ما دعيا اليه من الغيبيات المتصلة بالبداء، والعصمة والعلم اللدنى والرجعة، وأن ذلك كان بسبب تأثره بالنزعة العقلية لدى المعتزلة[٢].

وكأن هؤلاء الذين تظاهروا ببيعته، والوقوف معه، قد تعمدوا اصطياد أحد من أهل البيت، لكى يقتل انتقاما من نبى الإسلام فى ذريته، لأنه إما أن ينطق بعقائدهم التى عملوا منذ اللحظة الأولى على أن يصورها على أنها هى مضمون الإسلام، وإما أن يتركوه لأعدائه ليلقى مصيره المحتوم، إذ إن أهل

---

(١) الكلينى : الكافى فى الأصول ، جـ١ ، ص ٣٥٧؛ نقلا عن الدكتور أحمد محمود صبحى؛ الزيدية ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربى ، ط٢ ، ١٩٨٤، ص ٧١.

(٢) د. على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ٢، ص ١٥٦، نقلا عن الدكتور/ أحمد محمود صبحى، المرجه السابق، ص ٧٧.

الكوفة، لم يلبثوا أن انفضوا من حوله، وبقى فى شرذمة قليلة حتى قتل[١]. ويعلم الله، ماذا دار بين الحسين جده، وبين أهل الكوفة عندما تركوه ايضا يلقى مصيره المحتوم، وقد لقى الإمام زيد هو الآخر مصيره المحتوم على يدى قوات يوسف بن عمر الثقفى والى هشام بن عبد الملك على الكوفة، ولما علم يوسف بقبر الإمام زيد، نبشه وصلبه، ثم كتب اليه هشام يأمره بحرق جثته، فأحرقت ونسف رمادها فى الفرات[٢] ١٢٢هـ".

لم ييأس الزيدية بعد مصرع إمامهم، فقام ابنه الأكبر من بعده، يتبع مسير أبيه، وهو الإمام يحيى بن زيد. ويروى الطبرى أن الذى أخفاه عن عين يوسف بن عمر، بعد مصرع ابيه هو عبد الملك بن بشر بن مروان، حتى تمكن من الهرب مع نفر من الزيدية إلى خراسان[٣].

---

(١) ويروى الطبرى أن زيدا لما رأى قلة من معه، قال: أين الناس؟ فقيل له هم فى المسجد محصورون، فقال :لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر، )جـ٧، ص ١٨٢. ولما انتهى الى دار رجل من الأزد: ناداه الإمام زيد، فلم يخرج اليه، فقال ما أخلفكم!! قد فعلتموها، الله حسيبكم، (ص.١٨٣).

(٢) الأشعرى : مقالات الإسلاميين، حـ١، ص ١٥٣.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ٧، ص ١٨٩.

ويتابع الطبرى مسيرة الإمام يحيى فقد أخذ نصر بن سيار عامل الأمويين على خراسان فى البحث عنه، حتى تمكن من العثور عليه، فأرسله إلى يوسف بن عمر والى الكوفة، فكتب الأخير إلى الوليد بن يزيد الذى تولى الخلافة بعد وفاة هشام بن عبد الملك، فأمر باطلاق سراحه، وتسييره اليه، فانصرف إلى سرخس، وهزم جيش الأمويين المكون من عشرة الآف، وليس معه الا سبعون رجلا، ثم ذهب بعد ذلك إلى هراه، فأرسل نصر بن سيار سلم بن احوز وراءه حتى أدركه بالجوزجان، ونشبت بينهما المعركة التى انتهت بإصابة الإمام يحيى بسهم صوبه نحوه رجل من عنزة اسمه عيسى ، وقد فعل بجثته مثلما فعل بجثة أبيه[١]، سنة ١٢٥هـ.

وما دام الإمام زيد قد أعلن أن الإمام هو من يخرج على أئمة الجور فليكن الإمام بعد مصرع الإمام يحيى هو من يخرج ثائرا وتحقق ذلك فى محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب المعروف بالنفس الزكية الذى أجمع عليه الطالبيون والعباسيون بل وكثير من علماء الكلام[٢]. ولكن نظر العذر العباسيين بالطالبيين ، فقد خرج محمد النفس الزكية على أبى جعفر المنصور بعد أن نجح العباسيون فى إزاحة الأمويين، واستولى على المدينة، غير ان

(١) المرجع السابق : ص ٢٢٨ - ٢٣٠.

(٢) الدكتور : أحمد محمود صبحى : الزيدية، ص ٥٤، ٨٥.

عيسى بن موسى قائد المنصور استطاع القضاء على ثورته وقتله فى رمضان/ سنة ١٤٥هـ وأرسل إلى المنصور، ودفن جسده بالبقيع[١]، فقام أخوه إبراهيم الإمام بالثورة فى البصرة واستولى عليها ودانت له خراسان، وبدأت المعركة عند الكوفة، حيث كان هناك المنصور، وكادت الدائرة تدور على العباسيين، لولا أن اصاب أبراهيم سهم فقتله، وكان ذلك فى ذى القعدة ١٤٥هـ[٢].

وفى سنة ١٦٩هـ فى عهد الخليفة العباسى الهادى خرج الحسين بن على الفخى وهو الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن الحسن بن على، حيث استولى على المدينة، لكن جيش العباسيين داهمه عند (فخ) وانتهت المعركة بمصرعه[٣]، وقام بالأمر بعده يحيى بن عبد الله فى عهد الرشيد الذى أعطاه الأمان، ولكن انتهى أمره بالحبس حتى الموت، وفى أيام المأمون خرج محمد بن ابراهيم بن إسماعيل من إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على واستولى على أنحاء كثيرة من واسط والبصرة، والكوفة، ودانت له الحجاز واليمن، وكاد يهزم جيش العباسيين ، لولا أن مات فجأة

---

(١) المرجع السابق : ص ٩١.

(٢) المرجع السابق : ص ٩٢.

(٣) المرجع السابق : ص ٩٤ .

سنة ١٩٩هـ[١]. وبايع الاتباع بعد ذلك ابنه محمد غير ان الهزيمة حلت بجيشهم عام ٢٠٠ حيث قبض على محمد وحبسه المأمون ومات فى المحبس مسموما بعد شهرين من الهزيمة[٢].

### فروع الحزب الزيدى :

أما فروع الحزب الزيدى، فقد اختلف المؤرخون فى عددها، منهم من ذهب إلى أنها ستة [٣]. ومنهم من عدها أربعة[٤].

وقد اختلفت هذه الفروع فيما بينها فى أمر الخلافة، فمنها ما التزم بما قاله الإمام زيد بن على رأس الحزب الزيدي- على حسب ما سبق - ومنها ما تطرف وغالى، فانحرف إلي تخطئة أبى بكر وعمر مثل سائر الفروع الشيعية الأخرى، بل إن من هذه الفروع من ذهب إلى تكفير الشيخين ومعهما عائشة، وطلحة، والزبير، وعثمان. وقد سبق ذكر مقالة أبى الجارود، حيث ذهب إلى أن النبى نص على علىّ بالوصف دون التسمية، وقد قصر

---

(١) المرجع السابق: ص ٩٦.

(٢) المرجع السابق : ص ٩٦.

(٣) الأشعرى : مقالات الإسلاميين، جـ١، ص ١٤٠.

(٤) الشهرستانى : الملل والنحل، جـ١، ص ١٥٧- ١٦٢.

الناس، حيث لم يتعرفوا الوصف، ولم يطلبوا الموصوف، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم[١] فكفروا بذلك، بل إن من اتباع محمد النفس الزكية من قال إنه حى، وأنه لم يقتل، وسيخرج ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا[٢].

ومما سبق من انحراف بعض فروع الحزب الزيدى يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الانحراف بظهور الآراء التى لا تتفق وشريعة الإسلام لا يسأل عنه الأئمة من آل البيت، وأن ما ظهر من آراء سواء أكان ذلك فى فروع الحزب الزيدى، أو عند الحزب الإمامى الاثنى عشرى، أو عند الحزب الإسماعيلى، كما سيتضحح بعد ذلك، انما هو من فعل الشيعة، وأنه ليس من المعقول أن يكفر أحد أئمة آل البيت مسلما، إلا على حسب ما جاء فى الكتاب أو السنة، والدليل على ذلك ان مثل هذه الآراء قد ظهرت ونمت إما سرا ، وإما بعيدا عن الأئمة ودون علمهم، ولذلك عندما كانت تصل مثل هذه الآراء إلى مسامع الأئمة من آل البيت، فإنهم كانوا يسارعون إلى البراءة منها[٣].

---

(١) المرجع السابق :حـ١ ، ص ١٥٨.

(٢) المرجع السابق: حـ١ ، ص ١٥٩.

(٣) أدعى أبو الخطاب الأسدى المقتول سنة ١٣٨هـ ألوهية جعفر الصادق، وأنه (أى أبو الخطاب) رسوله، فكان ذلك سببا لأن يتبرأ منه الصادق، وغضب من ابنه اسماعيل للعلاقة التى كانت بينه وبين أبى الخطاب هذا ، (د. محمد كامل حسين: طائفة الاسماعيلية، ص ١٣).

ولولا أن الحزب الزيدى كان حزبا علنيا، لم يلجأ إلى التنظيمات السرية، أو إلى التقية، لما ذهبنا إلى مثل هذا الرأى، وينبغى على سائر الباحثين أن ينتبهوا إلى هذه الحقيقة حتى لا تنسب الآراء إلى غير اصحابها.

ومن هنا فإن وضع الحزب الزيدى ضمن الأحزاب التى ترى السلطة الإسلامية سلطة بشرية، وليست سلطة الهية، ربما يمثل الحقيقة، وإن انحر ف بعض الاتباع بعد ذلك.

# الفصل الثالث

# أحزاب السلطة الإلهية

# أولا : الحزب الإسماعيلى

## تمهيد :

ينتسب هذا الحزب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق . فبعد هذا الأخير انقسم الحسينيون من آل البيت إلى حزبين كبيرين هما الحزب الإسماعيلي موضوع الحديث، والحزب الموسوي أو الإمامي أو الاثنا عشري. فقد كان للامام جعفر الصادق خمشة أبناء، وقيل ستة هم محمد، وإسحاق، وعبد الله، وموسى، وإسماعيل، وعلى .

فالحزب الإمامي الاثنا عشري، قالوا بإمامة موسى الكاظم بن جعفر ثم علي ين موسى الرضا، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي المعروف بالعسكري، ثم محمد بن الحسن (القائم) التى ينتظرون عودته، وهو عندهم الإمام المهدى المنتظر .

أما الحزب الإسماعيلي، فقد ذهب أتباعه إلى سوق الإمام بعد جعفر فى ابنه إسماعيل، ثم محمد بن إسماعيل الذى استتر، ومن نسله، كان الخليفة الفاطمي الذى ظهر بشمال إفريقيا بعد ذلك، وأسس الدولة الفاطمية التى استولت على مصر والشام وساحل البحر الأحمر واليمن . مما سيتبين بعد ذلك .

## ألقاب هذا الحزب :

وقبل الخوض فى تاريخ هذا الحزب، وآرائه السياسية التى لا تنفك عن آرائه العقدية، فإنه تجمل الإشارة إلى نقطة هامة اقتضنتها طبيعة تكوينه، وطبيعة آرائه . فهو فى بدايته اتسم بطابع السرية والغموض مما أوقع المؤرخين فى حيره من أمره، وهو فى آرائه السياسية والعقدية أتسم بطابع

السرية والغموض، وهذا بسبب كونه اتخذ مبدأ التأويل الباطني للنصوص، بحيث بدا ظاهرها بعيدا كل البعد عن باطنها . ولذلك اختلف المؤرخون حول ألقاب هذا الحزب خاصة وأن مؤرخيه ومفكريه التزموا السرية المطلقة في أفكارهم، وحتى بعد نجاح الدعاة في تـأسيس الدولة، ظلت الكتب الإسماعيلية طي الكتمان لم يكشف عنها النقاب إلا مؤخرا، فبدأت تظهر تباعا على أيدي المحققين والباحثين .

ولعل أشهر هذه الألقاب هو لقب (الباطنية) نظرا لقولهم إن لكل شيء ظاهرا وباطنا، ولكل تنزيل تأويلا . ومع ذلك فقد أشار المؤرخون إلى ألقابهم الأخرى .

فالغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) يذكر أن ألقابهم عشرة هي : الباطنية، والقرامطة، والقرمطية، والخرمية، والخرمدينية، والإسماعيلية، والسبعية، والبابكية، والمحمرة، والتعليمية(١). ويزيد الشهر ستاني (ت ٥٨٤هـ) على ذلك فيذكر ألقابهم وأماكن إطلاق هذه الألقاب، فلهم الباطنية التى تطلق عليهم بالعراق، كما يلقبون أيضا به، بالقرامطة والمزدكية، وبخراسان التعليمية والملحدة، وهم يطلقون على أنفسهم لقب الإسماعيلية (٢).ونجد الديلمي يذكر أن ألقابهم خمسة عشر : الباطنية، والقرامطة، والقرمطية،

---

(١) الغزالي : فضائح الباطنية، وفضائل المستظهرية، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة الدار القومية، ١٩٦٤م، ص١١، وقد خصص فصلا لتعداد هذه الألقاب، وبيان سبب إطلاقها عليهم .

(٢) الشهر ستانى : الملل والنحل، جـ١، ص ٣٣٥، ٣٣٦ .

والإسماعيلية، والمباركية، والسبعية، والتعليمية، والإباحية، والملاحدة، والزنادقة، والمزدكية، والبابكية، والخرمية، والخرمدينية (١).

وإذا ما وضعت هذه الألقاب تحت محك المناقشة، ربما تكون بعضها أليق بهذا الحزب، وربما يكون البعض الآخر غير مناسب له، وإنما جاء من الخلط الذى وقع فيه المؤرخون نتيجة لسياج الغموض والكتمان الذى فرضه أتباعه على أنفسهم .

فلقب (الباطنية) لقب معقول، إما لأنهم أخفوا عقائدهم، أو لقولهم " بأن لكل ظاهر باطنا ... والظاهر بمنزلة القشور والباطن اللب المطلوب"(٢).

ولقب (الإسماعيلية) مناسب لهم أيضا إذ إنهم يقولون بانتسابهم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر وذلك واضح .

ويشير لقب (المباركية) إلى شخصية هامة فى تاريخ هذا الحزب، وهو مبارك الكوفى الذى كان ذا صلة قوية بإسماعيل بن جعفر، ولذلك تولى أمر أبنه محمد، ويذهب الدكتور النشار بأن هذا الرجل وإن صح وجوده هو الذى حاول تثبيت الإمامة لابن سيده إسماعيل، وهو محمد، ولذلك نسب هذا

---

(١) الديلمي : قواعد عقائد آل محمد، القاهرة، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٩٥٠م، ص ٣٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٦ .

الحزب إليه، وظل هذا اللقب مختلطا بالاسم الرئيسي عبر التاريخ، فمازال للمباركية أنصار فى سلطان (بوهر) بالهند، وأتباعه إسماعيلية، وقد يسمون بالمباركية (١).

وهناك سببان لتلقيب هذا الحزب بلقب (السبعية) إما لأن أتباعه يقولون بأن الإمامة ذات أدوار سبعة سبعة، أي أن كل دور يتكون من سبعة أئمة، أو لهم الناطق والباقون صامتون، والسابع هو آخر الدور. وإما لأنهم يقولون إن تدبير العالم السفلي، وهو ما يحويه مقعر فلك القمر، منوط بالكواكب السبعة وهي على التوالي من أعلى إلى أدنى : زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، وأخيرا القمر (٢).

أما لقب (التعليمية) فلأنهم لا يجيزون أن يتلقوا إلا من الإمام المعصوم فلا يجوز أن يتعلم الإنسان من أي معلم، بل الإمام المعصوم فقط، ولا تخلو الأرض منه، وغير الإمام يستخدم عقله، والعقل يوقع فى الحيرة والخطأ (٣).

---

(١) د/ علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ١، ص ٢٧٠ .

(٢) الغزالي : فضائح الباطنية، ص ١٦ .

(٣) الغزالى : المنقذ من الضلال، القاهرة، مكتبة الجندى، د.ت. القسم الخاص بالتعليمية الذين يتلقون العلم عن الإمام المعصوم. وأيضا، الغزالى : القسطاس المستقيم، يثبت فيه الغزالى أن استخدام العقل يغنى عن التلقى من الإمام المعصوم. ضمن (القصور العوالى) القاهرة، مكتبة الجندى، د.ت .

ويعلل الديلمي تلقيب أتباع هذا الحزب بلقب (الملاحدة) بأنهم ينكرون الصانع، ويقولون بتأثير الكواكب (١)٠ ولا يبعد لقب (الزنادقة) عن اللقب السابق ٠

ولا يخفى أيضا إطلاق لقب (إباحية) على أتباع الحزب، لأن دعاتهم كانوا يوافقون كل طائفة على حسب مشربهم، فمن يرونهم يميلون إلى الإباحية، كانوا يقولون لهم إن الإمام عندما يظهر، سيرفع عنهم التكاليف الشرعية ٠

ويبدو أن أصحاب الدعوة الإسماعيلية قد أرادوا استيعاب الحركات المناوئة للدولة العباسية، بصرف النظر عن أهداف هذه الحركات، أو عقائدهم أو آرائهم السياسية٠ ومن ثم اتصلوا بحركتين كبيرتين إذ ذاك وهاتان هما: حركة القرامطة، وحركة البابكية أو الخرمية أو الخرمدينية٠ ومن هنا خلط المؤرخون بين الإسماعيلية، وبين القرامطة فجعلوهما حركة واحدة، كما خلطوا بين الإسماعيليين وبين الخرمية فجعلوهما حركة واحدة أيضا٠

---

(١) الديلمي : قواعد عقائد آل محمد، ص ٣٦ ٠

أما بالنسبة للخرمية أو الخرمدينية، فهي حركة انفصالية ظهرت أيام المعتصم، وكانت تسعى بقيادة بابك الحزمي إلى الانفصال عن الدولة العباسية، بسبب أن ولاتها كانوا يقرون أصحاب الإقطاعيات فى إقليمي (أذربيجان) و(أرّان) ضد الفلاحين هناك. ولم تكن عقيدة هؤلاء هي الإسلام، وإنما كانت ديانتهم (الزرادشتية) على مذهب (مزدك)، وقد تمذهبوا بالمزدكية واضطروا إلى اللجوء إلى الإقليمين السابقين بعد أن اضطهد الساسانيون مزدك وأتباعه، فهم إذا لم يدخلوا الإسلام، حتى ينادوا بمثل ما ينادي به أتباع الحزب الإسماعيلي، إذ إن دعوة الإسماعيلين كانت ترتكز على كونهم مسلمين، ومن دعاة آل البيت، ويريدون إرجاع الحق إلى أئمتهم، ولذلك ينقل المؤرخون عن الخرمية أنهم لم يكونوا يمنعون المسلمين المقيمين بينهم من ممارسة شعائرهم، وكانوا يساعدونهم على بناء مساجدهم (١). ولعل السبب الذى دفع البعض إلى اعتبارهم من الحزب الإسماعيلي هو التشابه فى الأفكار والمباديء والمعاصرة، فالخرمية يقولون بالاشتراكية، ويقولون بنظرية النور الإلهي. ويكاد صاحب الفرق بين الفرق أن يدرك ما بين الحركتين من استقلال، وإن كانت هناك علاقات بينهما، إذ يذكر أن الأفشين صاحب جيش المعتصم، كان مراهنا لبابك الحزمي، وفى

---

(١) بندلي جوزي : تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، ترجمة خليل سكاكيني، ص٦٨.

نفس الوقت دخل فى دعوة الباطنية، وبذلك صارت الباطنية مع الخرمية يدا واحدة (١).

وإذا وصل الأمر إلى هذا الوضوح فى الفرق بين الحركتين، فإن لقب (محمرة) لا يناسب الحزب الإسماعيلي، لأن أصحاب بابك الخرمى قد ميزوا أنفسهم بلون الحمرة(٢) فى ثيابهم، وأصبح هذا اللون شعارا لهم. أما إذا كان لقب المحمرة مقصودا به أن الإسماعيليين كانوا يعتقدون أنهم وحدهم هم الناس، ومن عداهم من بقية الأحزاب الإسلامية حميرا -كما يذكر الغزالي- فيمكن أن يناسبهم هذا اللقب (٣).

ويصبح الآن من الواضح تبرير إطلاق لقب (مزدكية) على الإسماعيلية، بعد أن اتضح أن المؤرخين قد خلطوا بينهم وبين الخرمية أتباع مزدك. وكذلك يمكن النظر إلى لقب (خرمدينية) إذ هو أليق بالخرمية، وليس بالإسماعيلية. لأن لفظ (خرمدين) اسم للقرية التى ظهر فيها بابك، ثم حرف اللفظ لكثرة الاستعمال فقيل (خرمية) بدلا من (خرمدينية) .

ويبقى بعد ذلك مناقشة لقب (القرامطة) أو (القرمطية). فيبدو أنه كان هناك تخالف بين حركة الإسماعيلية، وحركة القرامطة بالرغم من أن باحثين

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق، ص ٢٦٨ .

(٢) الغزالى : فضائح الباطنية، ص ١٧ .

(٣) الغزالى : المرجع السابق، نفس الصفحة .

محدثين قد ساروا وراء القدماء فى الخلط بين الحركتين، حتى ذهبوا إلى أن عبد الله بن ميمون القداح هو مؤسس حركة القرامطة (١). وبذلك اعتقدوا أنهما حركة واحدة. غير أن الدكتور النشار يذهب إلى أن القرامطة نسبة إلى حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط، وأنه دخل فى الدعوة الإسماعيلية على يدي مبعوث من قبل عبد الله بن ميمون القداح، الذي أسس والده ميمون القداح الحزب الإسماعيلي (٢).

## نسب الخلفاء الإسماعيليين :

إن أول إمام أو خليفة إسماعيلي أو فاطمي عرفه التاريخ، وظهر بصورة علنية هو عبيد الله المهدي (٢٦٠هـ/ ٨٧٤ م – ٣٢٢هـ / ٩٤٦م)(٣). ولكن بين هذا التاريخ، وبين اختفاء محمد بن إسماعيل بن جعفر ما يقرب من قرن من الزمان فقد توفى جعفر الصادق ١٤٨هـ. وطيلة هذه المدة، وأطلق عليها المؤرخون الأسماعيليون دور الستر حيث ظل الأئمة يتناسلون

---

(١) ت.جـ. دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهاد أبو ريدة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٨م، ص١١٠، ١١١ .

(٢) د/ علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ٢، ص٤٢٠ .

(٣) W.Ivanowi: Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids, Oxford, 1942, pp.29-32.

ينقل ايفانوف قصة حياة هذا الخليفة منذ ميلاده في عسكر مكرم إلى أن انتقل إلى شمال إفريقيا وأعلن قيام الدولة الإسماعيلية الفاطمية .

فى الخلفاء، ويتولون نشر الدعوة دون أن يعلم أحد عنهم شيئا. وما إن ظهر الإمام الأول (المهدي) حتى هب المؤرخون يختلفون حول حقيقة نسبه هل هو فعلا من نسل العلويين ؟ أم أنه دعي فيهم ؟

وقد ذهب أغلب المؤرخين، وخاصة السنين إلى نفى هذا النسب، وإلى أن هؤلاء الأئمة دخلاء على آل البيت، وأنهم فى الأصل ملاحدة يريدون هدم الإسلام، مستندين إلى دعوى أن إسماعيل بن جعفر الصادق قد مات فى حياة أبيه، وأنه لم يعقب. وقد بني هؤلاء المنكرون لنسب الفاطميين إلى العلويين على أساس أن مؤسس الدعوة الفاطمية هو عبد الله بن ميمون القداح الذي كان أبوه مؤسس الفرقة المعروفة بالميمونية، وكان عبد الله هذا قد ادعى النبوة فترة، وأخذ يتنقل فى البلاد هربا من السلطة، مع إدعائه الكرامات، مستخدما السحر والشعبذه، وظل هكذا إلى أن استقر أخيرا فى مدينة (سلمية) بالقرب من حمص، وهكذا بدأ يوجه الدعوة من هناك حتى دخل خلق كثير فى دعوته، ومنهم حمدان قرمط زعيم القرامطة، بسواد الكوفة. ومن نسل عبد الله هذا، كان سعيد القداح الذي ذهب إلى مصر، وكان على وشك انكشاف أمره، فهرب إلى شمال إفريقيا، ولكنه رأى أن دعواه النسب إلى آل البيت لن يقبل منه، فأظهر غلاما حدثا، زعم أنه من ولد محمد بن اسماعيل (١).

---

(١) ابن النديم : الفهرست، القاهرة، ١٣٤٨هـ، ص ٢٦٤ - ٢٦٦، وقد ذكر ابن النديم أنه نقل هذه الرواية عن أبى عبد الله محمد بن على بن رزام الكوفى .

ولعل ما ذكره ابن النديم نقلا عن ابن رزام هو الذي شجع العباسيين على أن يقوموا بحملة إعلامية قوية ليؤكدوا عدم انتساب الفاطميين إلى آل البيت، فهذا هو قاضي قضاة الدولة العباسية أبو محمد الأكفاني، في خلافة القادر العباسي يصدر بيانا يشهد عليه أعيان العلماء في زمنه، ينص على نفي نسب العبيديين - نسبة إلى عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين - عن الإمام علي بن أبي طالب، وكان من جملة الموقعين على البيان الشريفان (الرضى والمرتضى) وكذلك (ابن الخزري) و(أبو حامد الاسفراييني) و(أبو عبد الله الصيمري) و(أبو الحسين القدوري) و(أبو الفضل النسوي) و(أبو جعفر النسفي) وغيرهم من كبار أئمة ذلك العصر، وصورة البيان :

" هذا ما شهد به الشهود أن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد منتسب إلى ديصان الذي ينسب إليه الديصانية، وأن هذا الناجم في مصر، وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم - حكم الله عليه بالبوار والدمار- بن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد - لا أسعده الله - وأن من تقدم من سلفه الأنجاس الأرجاس - عليهم لعنة الله، ولعنة اللاعنين - أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن ما ادعوه من الانتساب إليه زور باطل، وأن هذا الناجم في مصر، هو وسلفه، كفار زنادقة ملحدون معطلون، وللإسلام جاحدون، أباحوا الفروج، وأحلوا الخمور، وسبّوا الأنبياء، وأدعوا الربوبية "(١).

---

(١) محمد زاهد الكوثري : مقدمة كتاب (كشف أسرار الباطنية) لمحمد بن مالك اليماني، القاهرة، مطبعة الأنوار، ١٩٣٩م، ص ٦، ٧، وقد نقل هذا البيان عن (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي .

ويشارك ابن طاهر البغدادي في هذه الحملة فيذكر أن أصحاب المقالات قد أخبروا أن مؤسس دعوة الباطنية جماعة، منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، وكان مولى لجعفر الصادق، وكان من الأهواز ومنهم محمد بن الحسين الملقب بدندان " (١) .

ويستشهد الدكتور النشار على أن الفاطميين من ولد القداح بما حدث من خلاف بين القرامطة وبينهم بعد أن كانوا من حلفائهم، إذ " سرعان ما انقض الحسن الأعصم (من القرامطة) على دمشق، وقتل جعفر بن فلاح الكتامي عام ٣٦٠هـ . وقام الحسن الأعصم على منبر جامع دمشق، ولعن الخليفة الفاطمي، وأعلن أن هؤلاء من ولد القداح كذابون ممخرقون، أعداء الإسلام، ونحن أعلم بهم، ومن عندنا خرج جدهم القداح " (٢).

بل إن القاضي أبا بكر الباقلاني ينسبهم إلى المجوسية فيذكر أن القداح جد عبيد الله كان مجوسيا، كما ينسبهم غيره إلى اليهودية (٣).

ولكن ابن خلدون يستشهد على عدم النقد التاريخي للأخبار بهذه الحملة الشعواء التي وجهت للطعن في نسب العبيديين، مع أن نسبهم صحيح، ولكن المؤرخين يرددون أمثال هذه الادعاءات دون تثبت (٤).

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق، ص ٦٥ .

(٢) د/ على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ٢، ص ٤٧٤ .

(٣) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، القاهرة، مكتبة الخانجى، ط٣، ١٩٨٣م، ص ٥١ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة، القاهرة، ط بولاق، ص ١٨ .

وإذا ما انتقلنا إلى المؤرخين الإسماعيليين، وجدنا أنهم يذهبون إلى تأكيد نسب الفاطميين إلى البيت العلوي. فالداعي إدريس يذكر أن محمد بن إسماعيل اختفى في البلاد متنقلا بينها، حتى ولد له ولد أسماه عبد الله، ولقبه بأحمد الوفي، وهذا الأخير ولد له ولد أسماه أحمد، ولقبه محمد التقي، ثم رزق الأخير بولد سماه الحسين، ولقبه بعبد الله الرضي (١). وبناء على ذلك يكون الخلفاء الفاطميون غير منتسبين إلى عبد الله بن ميمون القداح، ويذكر المستشرق إيفانوف ما يرويه الداعى إدريس، فيذهب إلى أن مسألة تأسيس عبد الله بن ميمون القداح للإسماعيلية الفاطمية لا تعدو أن تكون أسطورة وضعها بعض الناس بإيحاء من خيالهم، وأن بداية هذه الأسطورة كان شيئا تلقائيا، ثم أخذت تتطور بعد ذلك، وتأخذ حظها من الصقل والتهذيب، خلال تناقلها شفويا وكتابيا، خدمة لأعداء الدعوة الفاطمية، وإن تتبع الشخص المخترع لهذه الأسطورة مسألة ميئوس منها، وربما تكون قد ظهرت أول ما ظهرت على يد عبد الله بن رزام الطائي الكوفي الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع البحري (العاشر الميلادي) وليس ببعيد أن يكون هو نفسه الخالق لهذه الأسطورة، وقد نقل جملة من المؤرخين مقتطفات من كتاب ابن رزام، وهذا الكتاب قد فقد، ومن بين هؤلاء الناقلين البغدادي (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م) والبطحاني (ت ٤١١هـ/١٠٢٠م) والأمير عبد العزيز بن شداد الحميري (ت٥٠٩هـ/١١١٥م) (٢).

(١) د/ محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية، ص ١٦ – ١٨ .

(٢) W. Ivanow: The Aleged Founder of Ismailism, Bombay, 1946, pp. 1,2.

ثم يحاول هذا المستشرق أن يبرهن على صدق ما يقول، فيذكر أن عبد الله بن ميمون القداح كان من رواة الحديث، وأنه وجد له ما يقرب من ١٥٠ حديث معظمها في كتاب (الكافي) للكليني، وأن معظم هذه الأحاديث يدور حول شئون الحياة اليومية الأسرية، فلو كان هو المؤسس للمذهب الإسماعيلي، لكان من المعقول أن نجد بين هذه الأحاديث شيئا يتصل بالعقائد الفلسفية الكلامية، غير أننا للأسف لم نجد ذلك (١).

والحق أن المسئول عن هذا الاختلاف حول نسب الإسماعيليين هو ذاك الدور الذي عرف بدور الستر، وهو السبب في الغموض الذي لف الدعوة، مما جعل المؤرخين وغيرهم يشكون في أمرها، ويضعونها تحت مجهر الاتهام، ويؤدي بالأئمة الإسماعيليين أنفسهم أن يكونوا موضع شك دائما من المناوئين والمؤيدين .

ومما زاد الأمر سوءا أن المؤرخين الإسماعيليين أنفسهم يختلفون فيما بينهم حول عدد أئمة هذا الدور، بل يختلفون في أسمائهم، فقال بعضهم إنهم ثلاثة، وقال بعضهم بل خمسة، وقال بعضهم بل سبعة (٢).

والناظر إلى التاريخ لا يلبث أن تأخذه الحيرة، ويشك مع الشاكين، خاصة إذا أخذ في عين الاعتبار حادثتين تاريخيتين، بالإضافة إلى ما ذكره مؤلف إسماعيل محدث، وهذا وذاك يحملان على الشك والريبة في نسب هؤلاء الأئمة، بل ما ذكره المؤلف الإسماعيلي يكاد يقطع بنسب الفاطميين إلى القداح .

---

(١) Ibid : P. 15.

(٢) د/ محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية، ص ١٥ .

وأولى الحادثتين ما وقع من خلاف بين القرامطة ومركز الدعوة فى سلمية، فقد استطاع القرامطة أن يعرفوا اسم الإمام القابع في سلمية، وقد قابلهم رجل يحمل هذا الاسم، وبارك حركتهم، ولما عادوا إليه مرة أخرى، وجدوا شخصا آخر يحمل نفس الاسم، وأشار إليه من حوله بأنه هو الإمام، فشك زعماء القرامطة في الإمام وفي الدعوة نفسها (١).

وثانية الحادثتين، هي حادثة أبي عبد الله الشيعي، داعي الإمام عبيد الله المهدي، الذي استطاع أن يمهد لقيام الدولة الفاطمية في الشمال الإفريقي، بين قبيلة كتامة بالذات " فإنه قبل سفره إلى بلاد المغرب، زار الإمام بسلمية، فقابله شخص على أنه الإمام، لكن بعد ظهور المهدي بالمغرب، رأى أبو عبد الله الشيعي أن المهدي ليس هو الإمام الذي قابله بسلمية، وتطرق الشك إلى نفسه، إلى درجة أنه أفضى بذلك إلى أخيه أبي العباس وبعض رؤساء كتامة، وكادت تحدث ثورة، لو لم يبادر المهدي بقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس، وبإخماد الثورة في سرعة عجيبة"(٢) .

وإذا ما انتقلنا إلى المؤلف الإسماعيلي المحدث، وجدنا عجبا، إذ يتحدث عن النطقاء وأسسهم، وعن الأئمة إذ يقول : " والنطقاء سبعة،

---

(١) المرجع السابق ك ص ٢٥، ٢٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٦ .

وانظر: Ameer Ali : A Short History of Saracens, London, 1934, PP.591- 594.

وأسسهم سبعة، والأئمة سبعة، فالنطقاء السبعة والأسس السبعة هم : آدم وأساسه سيث، نوح وأساسه سام، إبراهيم وأساسه إسماعيل، موسى وأساسه شمعون الصفا، محمد وأساسه علي، إسماعيل وأساسه قداح الحكمة " (١)، ولابد أن هذا الباحث يعتمد على وثائق إسماعيلية سرية من تلك الوثائق المبكرة، خاصة أنه نشر الكتاب في مركز الدعوة القديم في فترة استتار الأئمة .

ويؤكد أحد المستشرقين استقلال القرامطة عن الإسماعيليين، مما كان له الأثر في الشكوك القرمطية السابقة، إذ يذهب إلى أن الإسماعيليين قد نجحوا في إثارة جميع الناقمين على الحكم العباسي، وكان القرامطة من بين هؤلاء الناقمين ثم يشكك في كنه العلاقة التي كانت بين كلا الحركتين، أكان كل منها يشكل حركة واحدة بأهدافها وعقائدها ؟ ثم يقول : نحن نعلم من القراءات التاريخية، أن مجموعات القرامطة، قد مالوا إلى المهدية والعقائد الأخرى الشائعة لدى الفاطميين، ولكن أكان هذا راجعا إلى إخلاصهم الذي لا يحيد للأئمة المستورين ؟ أم لغموض هذه العقائد ذاتها؟... ويستمر هذا المستشرق بعد إثارة هذه الأسئلة فيقول " هناك روايات لا حصر لها عن الاختلافات المبكرة بين الفاطميين في سلمية، وبين القرامطة في سواد الكوفة بصفة خاصة " (٢).

---

(١) عارف تامر : مقدمة تحقيق كتاب (البيان لمباحث الإخوان) للداعى أبى منصور اليمانى، سلمه – سوريا، ١٩٥٦م، ص ١٣ .

(٢) Panayiotis I.V.: The Fatimed Theory of State, Bomba, Kashmiri Basar, First Edt., PP. 125-127.

## نجاح الدعوة وتأسيس الدولة :

تجدر الإشارة إلى أنه قبل نجاح أبي عبد الله الشيعي في توطيد الأمر وتمهيده لقيام الدولة في بلاد المغرب، ومجيء عبيد الله المهدي من سلمية إلى هناك، كان أحد الدعاة الإسماعيليين قد نجح في تأسيس أول دولة إسماعيلية في اليمن سنة ٢٦٦هـ . فقد استطاع هذا الداعي وهو الحسين بن حوشب الملقب بمنصور اليمن أن يقيم دولة هناك باسم الإمام الإسماعيلي، ثم امتد نشاطه إلى خارج اليمن، فكان يرسل الدعاة من قبله إلى مختلف البلاد، وكان ممن أرسلهم إلى بلاد المغرب الداعيان الحلواني والسفياني، غير أنهما توفيا بعد قليل، فأرسل أبا عبد الله الشيعي ليتمم ما بدأه هناك، فبث الدعوة بين القبائل المغربية باسم المهدي المنتظر، واستطاع هذا الداعي أن يجتذب قبيلة كتامة، إذ بايعه شيخها على الدفاع عنه وعن إمامه، والائتمار بأمرهما في دينهم ودنياهم، كل ذلك والإمام في ستره، لم يعرفه إلا من كان شديد القرب منه، من كبار رجال الدعوة، ولم يكن يعرف أحد حقيقة اسمه (١).

أما عن الدولة في الشمال الإفريقي، فبعد وفاة عبيد الله المهدي أول الأئمة في دور الظهور، تولى الإمامة القائم بأمر الله أبو القاسم محمد سنة ٣٢٢هـ، ثم بعده تولى الإمام المنصور بالله أبو طاهر إسماعيل سنة ٣٢٤هـ، وبعده تولى المعز لدين الله أبو تميم سنة ٣٤١هـ، وهو الذي انتقل إلى مصر، بعد أن فتحها قائده جوهر الصقلي، وبعد المعز، تولى الخلافة العزيز بالله أبو منصور نزار سنة ٣٦٥هـ، ثمالحاكم بأمر الله أبو منصور سنة ٣٨٦هـ، ثم الظاهر أبو الحسن على سنة ٤١١هـ، ثم المستنصر بالله أبو تميم محمد

---

(١) د/ محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية، ص ١٦، ١٧ .

سنة ٤٢٧هـ وقد توفي سنة ٤٨٧هـ ٠

وطيلة هذه الفترة حدث انشقاقان في الدعوة ٠ الأول في عهد الحاكم، والثاني بعد وفاة المستنصر ٠

فبالنسبة للانشقاق الأول، فقد وفد على مصر بعض الدعاة الإسماعيليين من بلاد الفرس، وأخذوا ينادون بألوهية الحاكم وكان على رأسهم حمزة بن أحمد، والدرزي، وخوتكين، فثار المصريون ضدهم ثورة عنيفة، فقتل خوتكين وبعض أتباعه، وهرب الدرزي وحمزة إلى بلاد الشام، حيث استطاعا أن يجدا شيئا من النجاح في جذب بعض قبائل بني كلب إلى آرائهما، وأوجدا فرقة خاصة منشقة عن الدعوة الإسماعيلية، وهي الفرقة التي تعرف الآن بالدروز المقيمين في سوريا ولبنان وشمال فلسطين(١)٠

أما الانشقاق الآخر، فقد حدث بعد وفاة المستنصر بالله، ولم يكن سببه عقديا مثل الانشقاق السابق، بل كان سياسيا، وأدى إلى انشطار الحزب الإسماعيلي إلى حزبين كبيرين، وأطلق المؤرخون على أحدهما الإسماعيلية الشرقية أو النزارية، وعلى الآخر الإسماعيلية الغربية أو المستعلية ٠

ويرجع هذا الانشطار إلى أنه " حدث أن الإمام المستنصر بالله نص على أن يتولى الإمامة بعده ابنه نزار، ولكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الأرمني الجنسية، انتهز فرصة وفاة المستنصر بالله سنة ٤٨٧هـ، وأعلن إمامة المستعلي بن المستنصر – وكان طفلا صغيرا – وهو ابن أخت الوزير

---

(١) المرجع السابق : ص ٤٢، ٤٣ ٠

الأفضل ... ولم يكتف الوزير بإهمال نزار بن المستنصر صاحب الحق في الإمامة، بل نراه يقبض عليه، وعلى ابنه، ويحبسهما في أحد حصون القاهرة، ثم يبني عليهما حائطا إلى أن توفيا، الأمر الذي ترتب عليه أن عددا كبيرا من الدعاة من أتباع المذهب الإسماعيلي أبوا أن يباعوا المستعلى، ولم يعترفوا بإمامته، ونادوا بإمامة نزار وأبنائه من بعده " (١).

وتزعم هذا الإنشقاق شخصية ذكية، استطاعت بدهائها وأساليبها الجهنمية أن تخيف حكام بغداد ومن يوالونهم، بل استطاعت أن تجعل أي فرد في العالم الإسلامي حينئذ يتوقع الاغتيال بين لحظة وأخرى، بأن يصيبه خنجر غادر، ربما يأتيه من أقرب المقربين إليه . وهذه الشخصية هي : الحسن بن علي بن الصباح، الذي ولد في مدينة الري، غير أن تاريخ ميلاده غير معروف، والأرجح أنه ولد بعد انقضاء الثلث الأول من القرن الخامس الهجري (٢).

وكان الحسن هذا ثالث ثلاثة من التلاميذ على الإمام موفق النيسابوري هم نظام الملك، وعمر الخيام، والحسن بن الصباح مؤسس طائفة السفاحين أو الحشاشين، وكان الحسن صعب المراس لا عقيدة له، أما عمر الخيام فكان من نيسابور، وعرض الحسن على نظام الملك قائلا : حيث إن تلاميذ الإمام ينالون حظا، فإن لم ننله جميعا، سيناله أحدنا، فماذا يكون عهدنا المتبادل ؟ أجاب نظام الملك وعمر الخيام : كما ترى، فقال:

---

(١) المرجع السابق : ص ٤٢ .

(٢) على أدهم : الجمعيات السرية، القاهرة، در المعارف، ١٩٥٤م، ص ٢١ .

لنتعاهد أن من ينال هذا الحظ، يتقاسمه مع الآخرين بالتساوي، ولا يجعل لنفسه أفضلية، فقلنا كما تريد، وتعاهدنا " (١).

وقد بر نظام الملك بوعده، فبعد أن أصبح وزيرا في بالط السلاجقة، الحق الحسن بوظيفة في هذا البلاط، ولكن لما تبين لنظام الملك أن الحسن قد دخل في الدعوة الرسماعيلية، رأى أنه أصبح خطرا، ومن ثم عمل على طرده. أما كيف دخل الدعوة الإسماعيلية، فقد كان والده من الشيعة الإثنى عشرية، ولكن لأن شخصية الحسن شخصية قلقة، فقد برم بانتظار إمام هذا الحزب، كما أن اختلاف هذا المذهب بين العلماء المجتهدين، جعله يشك في صحة مباديء هذا الحزب، لأن الإمامة في رأيه تبنى على وحدة العقيدة، فبدأ يشك في عقيدة المذهب الأثنى عشري، ولم ترقه الفلاسفة، ولا الأشاعرة، ولا المعتزلة، حيث أنهم لم يستطيعوا الاتفاق على أي شيء، وكأننا الآن إزاء مفكر مثل الغزالي كما أراد الإسماعيليون المحدثون أن يصوروه (٢)، فإذا كان الغزالي قد انتهى من شكه إلى التصوف، فإن الحسن قد انتهى إلى المذهب الإسماعيلي، وكأن الحسن لم يكن إرهابيا سفاحا، ولذلك حاول هؤلاء أن يجعلوه باحثا عن الحقيقة .

المهم أن الحسن قد تعرف على جماعة من الدعاة مهدوا له الطريق إلى مصر، حيث تلقى ثقافة واسعة في دار الحكمة بالقاهرة، وتلقى أسرار

---

(١) زويمر : الغواص واللالى، القدس : د.ت، ص ٦٣، ٦٤ .

(٢) عارف تامر : مقدمة تحقيق كتاب (البيان لمباحث الإخوان)، ص ١٨ .

الدعوة في عهد الخليفة المستنصر، وكان ما كان من أمره مع الوزير الأفضل الجمالي، الذي اضطره إلى الهرب من مصر. حيث أخذ يتنقل بين الأقطار داعيا لإمامة نزار بن المستنصر. حيث قصد عكا ثم إلى حلب، ومن حلب إلى بغداد، ثم خوزستان وأصفهان وكرمان (١). ثم استقر أخيرا في قلعة الموت (سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م)، وأخذ في تكوين فرق الاغتيالات، في هذه القلعة. وكان من أعماله اغتيال نظام الملك الوزير السلجوقي .

## مبادىء الحزب الإسماعيلي السياسية والعقدية :

لا فرق عند واضعي النظريات في الحزب الإسماعيلي بين السياسة والعقيدة. فهما شيء واحد لا انفصام بينهما، وليس معنى ذلك أنهم يلجأون إلى الدين يستمدون منه نظرياتهم السياسية، أو أنهم حولوا النظريات السياسية إلى عقيدة حملوها على نصوص دينية نسبوهاإلى الرسول صلى الله عليه وسلم، كما فعل الحزب الشيعي الآخر وهو الحزب الإمامي الاثنا عشري. بل إنهم فعلوا ما هو أخطر من ذلك، إذ عهدوا إلى الفلسفة أو إلى عدة نظريات فلسفية سابقة، وأدمجوها في بعضها، ليشكلوا منها في النهاية بناء متكاملا، وليصوروه في النهاية على أنه هو جوهر الدين مستخدمين في ذلك منهج التأويل الباطني للنصوص الدينية، بحيث يبدو البعد الشاسع بيين الظاهر اللغوي، وباطنهم الذي ذهبوا إليه .

وكانت نظرية الفيض أو الصدور هي الأساس الذي بنوا عليه صرحهم الفكري السياسي الديني في آن واحد. وتنبه إلى هذا بعض الباحثين

---

(١) على أدهم : الجمعيات السرية، ص ٢٥ .

القدماء من أهل السنة الذين تجردوا للرد عليهم، وذهبوا إلى أن ماجاء في رسائل إخوان الصفاء هو الممثل لمباديء الإسماعيلية (١).وآرائهم وقد صرح إخوان الصفاء في رسائلهم بأنهم علويون (٢). ومجمل نظرية الفيض عندهم أن الله قد فاض عنه العقل الأول، وعن العقل الأول فاضت النفس الكلية وهذه النفس الكلية، هي خالقة الكون (٣). وقد تأثر الفارابي (ت٣٩٩) وابن سينا (٤٢٨هـ) بهذه الآراء في تبنيهما لهذه النظرية . بل إن الكثيرين غيرهما قد تأثروا بهذه الفلسفة الإسماعيلية مثل ابن الهيثم (ت٤٣٠هـ) والغزالي (ت٥٠٥هـ) (٤).

وإذا كانت رسائل إخوان الصفاء قد حاولت إخفاء هدف مؤلفيها الحقيقي من خلال تغليف هذه الآراء بالحديث عن مختلف العلوم، فإن الكتب الإسماعيلية الرسمية بعد ظهورها في العصر الحديث، قد جاءت مطابقة لما في الرسائل (٥). في الحديث عن نظرية الفيض.

والملاحظ أن الكتب الإسماعيلية، لا تتحدث عن الله، بل لأنه فوق

---

(١) الغزالى : المنقذ من الضلال، القاهرة، مكتبة الجندى، د.ت، ص ٤٢ .

(٢) جبور عبد النور : إخوان الصفاء، بيروت، ١٩٥٤م، ص ٢٠ .

(٣) عمر الدسوقى : إخوان الصفاء، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٤٧م، ص ١٣٩-١٤٣ .

(٤) De Lacy O'Leary : A Short History of the fatimid Kalifate, London, 1923, P. 139

(٥) عادل العوا : منتخبات إسماعيلية، تنشر لأول مرة، دمشق، الجامعة السورية، ١٩٥٨م، ص ٨٧ - ١٨٠ .

مستوي العقول، فتخلع جميع الصفات الواردة في القران على العقل الأول، وهو أول الفيض، وكذلك على النفس الكلية وإن كان العقل ذا ميزة بالنسبة لها (١). وأخطر ما في هذه النظرية هو أنهم يعقدون موازنة دقيقة بين العالم الأعلى، والعالم الأدني أو عالم الإنسان أو الأئمة والنطقاء والصامتين، فالناطق عندهم يوازن العقل الأول، والإمام القائم بالفعل وهو الأساس يوازن العقل الثاني أو النفس وهي العقل القائم بالفعل، والأئمة القائمون بحفظ الشريعة، يماثلون العقول أو الملائكة وهم الموكلون بعالم الطبيعة (٢). ومعنى أنهم تناسوا الله المفيض، وخلعوا الصفات على ما تحته من فيوضات، ثم جعلوا العالم الأرضي على نفس النسق، أنهم أوغلوا في الروحانية حتى تحولت عندهم إلى مادية خالصة، لأنه كلما تم الإيغال في الروحية، تم الإيغال في المادية(٣).

وإذا كان الأمر كذلك، فان هذه السلسلة السبعية من النطقاء والأسس التي سبق الحديث عنها من لدن آدم إلى محمد بن إسماعيل ينبغي أن

---

(١) أحمد حميد الدين الكرماني : راحة العقل، تحقيق د.محمد كامل حسين، ومحمد مصطفى حلمي، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ٦٧ – ٦٨ .

(٣) د/ حسين حنفى : قضايا معاصرة فى فكرنا المعاصر، بيروت، دار التنوير، ١٩٨١م، ص ١٠٧ .

تتولى السلطة الزمنية حتى يصبح العالم نورانيا، وحتى يتكامل التشابه بين العالم الأدنى والعالم الأعلى فكان سعيهم سياسيا إلى أخذ الحكم من العباسيين، وكان سعيهم ودينيا إلى تفريغ الإسلام من مضمونه المتبادر على حسب اللسان العربي، إلى المضمون الفلسفي العالمي .

# ثانيا : الحزب الإمامي الإثنا عشري

## تمهيد :

سبق أن جعلنا الحزب الزيدي ضمن مجموعة أحزاب السلطة البشرية، لأن زعماءه من الأئمة لم يذهبوا إلى إخراج السلطة من الإطار البشري إلى الإطار الإلهي. بالرغم من أن تطورات الحزب بعد ذلك قد جنحت ببعض الأتباع إلى الجانب الغيبي، فحاولت انتزاع السلطة من جمهور المسلمين، ووضعها ضمن مجال عالم الغيب.

أما الحزب الإسماعيلي الذي سبق الحديث عنه أيضا، فقد جاء بنظرية كونية مبنية على أساس من نظرية الفيض بحيث يجعل العالم الأرضي على نسق من عالم الغيب، ويكون الإمام في قمة عالم الأرض، وهي سلطة تكوينية، لأنه إذا كان العقل الأول ومن تحته النفس يسيران العالم الأعلى، فإن الإمام ومن تحته في التنظيم الهرمي للدعوة يتولون تنظيم عالم الكون والفساد، أو ما يمكن أن يسمى ما تحت فلك القمر طبقا لنظرية الصدور .

ولقد كان طابع الحزب الزيدي العمل في النور، لأن العقل كان هو الأساس الذي اعتمد عليه الحزب بسبب تلمذة مؤسسه وهو الإمام زيد علي واصل بن عطاء رأس المعتزلة، وصاحب المنهج العقلي .

أما الحزب الإسماعيلي فقد اعتمد على الغموض والإبهام، والسرية بحيث ظلت الأفكار الأساسية عنده طي الكتمان إلا عن كبار الدعاة، وحتى

الكتب التي وضعها هؤلاء الدعاة لم تكن للجمهور بل للخاصة المقربين من الإمام، ولذلك ظلت سرية حتى العصر الحديث .

وإذا ما انتقلنا إلى الحزب الإمامي الأثنى عشري، فإننا سنجد طابع الجمود والانغلاق، والتوجس، بحيث ظلت أفكار زعمائه حبيسة عقول أصحابها، لم يلجأوا إلى السرية، بل إلى العلنية المشوبة بالتقية التي هي نوع من الخوف والتوجس من كل شارد ووارد، وقد بلغ بهم الهوس بمبدأ التقية درجة جعلتهم يعتبرونه أصلا من أصول العقيدة، وحاولوا أن يطبعوا أشجع الشجعان وهو الإمام علي رضي الله عنه بطابع هذا المبدأ، وبذلك سحبوا منه صفة الشجاعة، حيث ذهبوا إلى أنه انطوى على نفسه طيلة عهد الخلفاء الثلاثة السابقين عليه، يكتم ما يعتقد أنه حق له، طبقا للنص على إمامته من الرسول صلى الله عليه وسلم، بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقد كان الرسول – في زعمهم – على وشك الالتزام بمبدأ التقية هو الآخر، فيتقاعس عن إعلان تعيين علي، لولا أن الوحي حذره بقوله " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته " (١). وكأن الوحي يرغبه ويرهبه من أجل إعلان النص على عليّ، مع أنه كان من الأوفق بدلا من هذا أن تنزل آية تحدد عليا لهذه الإمامة، مادامت قد تحولت الى أكبر المباديء العقدية عند الشيعة الإثنى عشرية .

ويمكن القول بأن هؤلاء الشيعة، ظلوا صامتين على مبادئهم هذه حتى اختفى آخر إمام من الأئمة الإثنى عشر، بل حتى بعد ذلك بما يقرب من

---

(١) سورة المائدة / ٦٧.

القرن من الزمان، وهي الفترة التي يطلقون عليها اسم (الغيبة الصغرى)٠ وبعد ذلك، وببداية (الغيبة الكبرى) بدأ العالم الإسلامي يسمع عن مبادئهم التي دونت بعد الغيبة الكبرى مرتدة في مصادرها إلى عهد الأئمة الإثنى عشر وخاصة إمامين منهم وهما محمد الباقر وجعفر الصادق ٠

فما حكاية هذا الحزب؟ وكيف نشأ وتطور، وكيف كانت نظرة المجتمع الإسلامي إليه، وكيف نظر زعماؤه إلى هذا المجتمع؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة يمكن بسطها فى الصفحات التالية ٠

## نشأة الحزب الأثنى عشرى :

من المعروف أن الحزب العلوى أخذ يتفرع مع مضى الأيام، وامتداد التاريخ٠ فقد كاد يتفرق بددا بعد تنازل الحسن بن على لمعاوية عن الخلافة حتى أنهم كانوا يخاطبون الحسن بأنه (مذل المؤمنين) بدلا من (أمير المؤمنين)٠ ولكنهم نجحوا فى اجتذاب الحسين بعد وفاة الحسن وتولى يزيد بن معاوية للخلافة، وبالرغم من تخليهم عنه فى اللحظات الحرجة إلا أنهم عادوا يلطمون الخدود، وقامت حركة التوابين، انتقاما لمقتل الحسين(١)، وكان على رأس هؤلاء الثوار (المختار بن أبى عبيد الثقفى) الذى كان على

(١) الدكتور ضياء الدين الريس : عبد الملك بن مروان، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٢م، ص ١٤١٠ قاد هذه الحركة سليمان بن صرد الخزاعى، والمسيب بن نجية الفزارى ضد حكم بنى أمية، ثم تولى القيادة بعد ذلك المختار بن عبيد الثقفى الذى ثأر لمقتل الحسين من قتلته من أهل الكوفة، المرجع السابق، ص ١٤٨ – ١٥٦ ٠

علاقة قوية بمحمد بن الحنفية، وبذلك اتسعت حركة المختارية أو الكيسانية - على رأى من يذهب إلى أنهما فرقة واحدة (1).

وفى هذه الأثناء كان نسل الحسين بن على لم يزل فى حداثة السن وهو على زين العابدين، الذى شهد مصرع والده، فآثروا الهدوء والخمول. ولكن أبنه زيدا خرج على بنى أميه على نحو ما سبق، على حين آثر أخوه محمد الباقر بن على زين العابدين الركون إلى العلم والبحث وإفادة جماهير المسلمين، وبالمثل فعل أبنه جعفر الصادق، الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للجانب العلمى الفقهى لآل البيت .

وهكذا كان هذان الإمامان محمد وأبنه جعفر بعيدين كل البعد عن السياسة، لا يؤمهما إلا كل محب للعلم، راغب فى التزود من روايات آل البيت. على حين كانت الكيسانية أتباع محمد بن الحنفية وأتباع المختار يملأون جنوب العراق وسواده، ويسمع عنهم من الآراء ما لا يمكن أن يكون مأخوذا عن أحد من آل البيت، من القول بالبداء المنسوب إلى المختار (٢)، ودافعه إلى ذلك ادعاؤه معرفة الغيب فإذا لم يتحقق ما تنبأ به قال إن ربكم بدا له .

اذن كان هناك الشيعة فى العراق من أتباع محمد بن الحنفية الذين كانوا يعرفون بالكيسانية، وفى نفس الوقت كانت هناك ثورة الإمام زيد بن على ثم أبنه يحيى، ثم محمد بن عبد الله بن الحسن ثم إبراهيم بن عبد الله

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق، ص ٢٧ .

(٢) الشهر ستانى : الملل والنحل، جـ٢، ص ٢٨٨ .

بن الحسن. كل ذلك والفرع الحسينى مؤثر للسلامة، محبذ جانب العلم والإفادة .

ولا يعنى خمول هذا الفرع من الناحية السياسية أنه لم تنشأ حولهم جماعات تتحدث بإسمهم، رغم تبرئهم منها مثل المنصورية التى ادعت أن الإمامة بعد محمد الباقر انتقلت إلى أبى منصور العجلى (ت١٢١هـ) الذى كون جماعة لخنق الناس الذين يقفون فى طريق دعوته (١)، مما يدل على محاولات الضالين الالتفاف حول أحد فروع آل البيت، ولكن عند يأسهم من محمد الباقر انتقلوا بالإمامة إلى زعيم عصابتهم .

وبالمثل فعل أبو الخطاب الأسدى مع جعفر بن محمد بعد أن كان مقربا منه يأخذ عنه العلم، لكن بلغ جعفر الصادق أن أبا الخطاب يروى عنه أحاديث كاذبة فتبرأ منه ومن آرائه، ولعنه (٢). كما ذهب جماعة إلى القول بأن الإمامة توقفت عند جعفر الصادق، وقالوا برجعته وسميت هذه الجماعة بالناووسية (٣).

وبعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ، كان له من الأبناء خمسة أو ستة - على نحو ما سبق - وهم : محمد وإسحاق وعبد الله وموسى وإسماعيل وعلى. وقد ظهرت جماعات حول كل ابن من هؤلاء الأبناء ترى أنه الإمام. ويذكر الشهر ستانى أنه " لما رأت الشيعة أن أولاد الصادق على تفرق، فمن ميت فى حال حياة أبيه ولم يعقب، ومن مختلف فى موته، ومن

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق، ص ٢٣٥ .

(٢) النوبختى : فرق الشيعة، ص ٥٨، ٥٩ .

(٣) الشهر ستانى : الملل والنحل، جـ١، ص ١٦٦، ١٦٧ .

قائم بعد موته مدة يسيرة، ومن ميت غير معقب، وكان موسى هو الذى تولى الأمر وقام بعد موت أبيه رجعوا إليه، واجتمعوا عليه " (١).

ولكن بعد خروج موسى الكاظم فى عهد الرشيد بالمدينة، قبض عليه عامل الرشسد، وحمل إلى بغداد مسجونا حتى مات فى السجن، وقيل إن يحيى بن خالد بن برمك قد سمه وهو فى سجنه (٢)، ولعل ذلك كان سببا فى خروج أخيه محمد الديباج بن جعفر فى مكة فى عهد المأمون، ولكن المأمون كان متسامحا، فبعد هزيمة أنصاره، عفا عنه (٣).

وبعد وفاة موسى - كما سبق - اختلفت شيعته فمنهم من قال لا ندرى أمات أم لم يمت، ومنهم من قطع بموته وقيل لهم القطيعة، وانتقلوا بالإمامة بعده إلى أبنه على بن موسى الرضا. ومنهم من قال لم يمت، وسيرجع بعد غيبته.

أما الذين ساقوا الإمامه إلى على بن موسى، فإنهم ساقوا الإمامة بعده إلى ابنه محمد الجواد، وبعده إلى ابنه على بن محمد التقى، ومن بعده الحسن بن محمد العسكرى الزكى، وبعده محمد بن الحسن القائم الذى هو المهدى المنتظر عند الحزب الإمامى الأثنى عشرى الذى مازال مستمرا إلى الآن.

---

(١) المرجع السابق : ص ١٦٨.

(٢) المرجع السابق : ص ١٦٩.

(٣) ابن طباطبا : الفخرى، تحقيق على الجترم وآخرون، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ١٩٥.

على أن الشهر ستانى يعدد جماعات كثيرة ظهرت حول كل واحد من بقية الأئمة الأثنى عشرية بعد جعفر الصادق، منهم من يقول بموته، ومنهم من يقول بغيبته ورجعته وهكذا (١)٠

بل إنهم اختلفوا بعد وفاة الحسن العسكرى الإمام الحادى عشر إلى إحدى عشرة جماعة (٢)٠

غير أن أكبر هذه الجماعات، وهى التى تشكل الحزب الرئيسى هى التى قالت بغيبه ابنه محمد سنة ٢٦٠هـ، وهو ابن أربع سنين أو خمس سنين ٠

ويذهب علماء الشيعة الأثنى عشرية إلى أن الإمام الثانى عشر قد غاب غيبتين صغرى وكبرى :

**الأولى:** تبدأ من سنة (٢٦٠هـ/٨٧٢م)، وتنتهى سنة (٣٢٩هـ/ ٩٤١م)٠

فى هذه الغيبة كان الإمام يتصل بنوابه وسفرائه الذين يقومون بتبليغ أوامره وتعليماته إلى أتباعه من الشيعة ٠

وهؤلاء السفراء كانوا أربعة الواحد بعد الآخر وهم : عثمان بن سعيد العمرى، وإبنه أبو جعفر محمد بن عثمان، وأبو القاسم الحسين بن روح الخلانى من بنى نويخت، ثم أبو الحسن على بن محمد السمرى٠ وفى عهده انتهت هذه الغيبة الصغرى وبدأت الغيبة الكبرى٠ وكان ذلك بإشارة من

---

(١) الشهر ستانى : الملل والنحل، جـ١، ص ١٦٩، ١٧٠ ٠

(٢) المرجع السابق : ص ١٧٠ ٠

الإمام الغائب لآخر السفراء حيث قال له الإمام " أن اجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية " كما جاء فيما قاله المهدى لهذا السفير الأخير : " لقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله، فمن ادعى رؤيتى فهو كاذب مفتر (١)" . ولذلك قال هذا السفير تعليقا على ذلك " ولله شأن هو بالغه " (٢).

ولكن لماذا أعلن آخر السفراء بداية الغيبة الكبرى؟ لماذا مثلا لم تستمر السفارات مادام الإمام غائبا؟ إنه من المؤكد - على فرض صدق هؤلاء السفراء - أنهم كانوا يقابلون الإمام، ومن المؤكد - طبقا للعقيدة الشيعية - أنه حى وأنه سيعود يوما ما ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا .

إن هذه الظاهرة تدل دلالة قاطعة على أن الأئمة من آل البيت برآء من مثل هذه الدعاوى، فإن مسألة المهدية هذه لم تكن هى الأولى، فقد سبق أن ادعت طوائف كثيرة التفت حول شخصيات من آل البيت، وعند موت الشخصية كانت الجماعة تختلف منهم من يقول بموته ويقفون على ذلك، ومنهم من يقول باختفائه وأنه سيرجع، ومنهم من يقول بانتقال الإمامة إلى عقبه. ويخيل إلى الباحث أن هؤلاء السفراء قد اختلقوا فرية السفارة هذه، خجلا من أن يقولوا بانتقال الإمامة إليهم، كما فعل بعض أسلافهم مثل أبى منصور العجلى، السابق الحديث عنه، ولكنهم رأوا أخيرا أن المسألة تقتضى

---

(١) الدكتور موسى الموسوى : الشيعة والتصحيح، د.ن، ١٩٨٨م، ص ٦١ .

(٢) المجلسى : بحار الأنوار، طهران، د.ت، جـ٣، ص ١٠٠، وانظر : د/ عرفان عبد الحميد فتاح : نظرية ولاية الفقية، عمان، دار عمار، ١٩٨٨م، ص ١٥ .

إعادة تنظيم للمجتمع الشيعى بحيث لا يتيحون الفرصة لأى مدعٍ آخر لكى يأتى بفكرة جديدة عن إمام آخر من آل البيت، فيحدث انشقاق جديد، ومن ثم فقد عمل زعماء الشيعة على توطيد الوحدة فى الحزب الشيعى، فقالوا بالغيبة الكبرى، كى يضمنوا استمرار الحزب بطريقة أكثر فاعلية كما يذهب إلى ذلك بعض المستشرقين(١). ولكى تظل عقيدة المهدية فى يد رجال الشيعة وسيلة ضغط سياسية ضد الحكام عبر التاريخ(٢)، ومن ثم فإن السلطة السياسية تظل تعمل لرجال الدين من الشيعة حسابا لأن عقيدتهم لا تجيز أى قائم بالسلطة إلا إذا أقره الإمام، ومادام الإمام غائبا، والسفارة قد انقطعت، فإن الحاكم السياسى سيظل مفتقرا إلى الشرعية، وبناء على ذلك فإن إقراره فى منصبه رهن برضاء هؤلاء العلماء عنه، وإلا أعلنوا العصيان طبقا للعقيدة الشيعية التى تقول بعدم جواز ممارسة أى شىء من شئون الحكم ما لم يسمح الإمام بذلك .

ويضيف البعض إلى ذلك سببا آخر لإعلان الغيبة، وهو أنهم كانوا يهدفون إلى جعل جميع من يعترف بإمامة أهل البيت أيا كان مشربهم وأيا كانت عقائدهم المنحرفة ينخرطون فى سلك واحد، هو سلك التشيع الإمامى،

---

(١) M. Watt: The Significance of the Early Stages of the Shi'ism, in the book (Religion and Politics in Iran) edited by Nikky R- Kiddie, Yale University Press, 1983, Chap. 2, pp.21-32.

(٢) د/ عرفان عبد الحميد فتاح : نظرية ولاية الفقية، عمان، دار عمار، ١٩٨٨م،ص١٧.

وقد صرح بذلك أحد علماء الحزب الكبار(١)، وهو المجلس إذ يقول " ويستحق اسم التشريع ويغلب عليه من دان بإمامة أمير المؤمنين - عليه السلام - على حسب ما قدمناه، وإن ضم إلى ذلك من الاعتقادات ما ينكره كثير من الشيعة ويأباه " ولذلك لا نعجب إذا وجدنا اتجاهات شاذة تستظل بظل هذا الحزب، وتخرج من تحت عباءته كالشيخية والبابية والبهائية، والطائفتان الأخيرتان بالذات خرجتا على حدود الإسلام، وكفرتا بعقائده، بل إن الأخيرة أعلنت نسخ شريعة الإسلام والإتيان بشرع جديد ودين جديد .

على أن هناك من يأتى بسبب مخالف لما سبق أدى إلى إعلان الغيبة الكبرى، وهو أن هؤلاء السفراء الأربعة كانوا يستخفون بعقول البسطاء ويأخذون رسائلهم إلى الإمام الغائب، ويعودون بالردود عليها سرا، من أجل الكسب المادى والمعنوى، فتنبه إلى ذلك بعض حكام ذلك الزمان، وبدأوا يتربصون بهؤلاء السفراء، عند ذلك أقلعوا عن حيلهم هذه، وأعلنوا الغيبة الكبرى(٢).

وقد ترتب على الغيبة الكبرى هذه زيادة سلطة علماء الدين الإماميين، واشتداد ضغطهم على السياسيين، بحيث تحول ما كان سياسيا إلى مبدىء دينى، وأصبح الدين طاعة رجل. سواء أكان الإمام فى حياته وظهوره أم كان عالما يدعى نيابته عن الإمام فى حال غيبته .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٨، وقد نقل ذلك عن المجلسى من كتابه أوائل المقالات،ص٦.

(٢) الشيخ محمد منصور نعمان (كبير علماء الهند) : الثورة الإيرانية فى ميزان الإسلام، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم، القاهرة، مطبعة عبير للكتاب، ١٩٨٦م.

وبنهاية القرن الرابع استقرت قواعد الحزب الإمامى على أيدى العلماء الكبار، وأصبحت كتب هؤلاء هى المرجع النهائى. وقد تحددت هذه الكتب فى أربعة هى المرجع الرئيسى للمبادىء الدينية للحزب عقدية كانت أو سياسية، إذ لا فرق بين هذه وتلك كما هو واضح من جعل السلطة السياسية فى جانب الإله يعطيها من يشاء. وهذه الكتب

١- (الكافى فى الأصول والفروع)، لأبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى المتوفى سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م . وهو المرجع الرئيسى عند الحزب الإمامى فى الحديث. وأول ما يسترعى الانتباه فى هذا الكتاب أنه يجعل كل ما روى عن الأئمة - سواء اتصل السند إلى الرسول، أو توقف عند أحد الأئمة - حديثا. وهذا يعنى أنه ليس بالضرورة أن يكون الحديث هو ما قاله الرسول، بل إن كلام الأئمة يعتبر حديثا، وهذا يتفق مع العقيدة الأساسية لهذا الحزب التى تقول إن الوحى لم ينقطع بوفاة الرسول، بل ظل جبريل ينزل على الأئمة بعد ذلك(١)، فعلم الأئمة ينزل عليهم لتعريفهم أحكام ما يحدث "بالليل والنهار، يوما بيوم، وساعة بساعة" (٢)، وتدور أحاديثه حول الأصول والفروع كما هو واضح .

٢- (من لا يحضره الفقيه) لمحمد بن على بن الحسن بن بابويه المتوفى سنة ٣٨١هـ/٩٩١م. ويختص هذا الكتاب بالرواية عن الأئمة فيما يتصل

---

(١) الخمينى : كشف الأسرار، ترجمة الدكتور محمد البندارى، عمان، دار عمار، ١٩٨٨، ص ١٤٣ - ١٤٥ .

(٢) الكلينى : فى أصول الكافى، بيرت، دار الأضواء، ١٩٨٥م، جـ١، ص ٢٢٥ .

بالأحكام الشرعية، وهو كسابقه لا يفرق بين ما روى عن الرسول، وما روى عن الأئمة، وكذلك يتفق مع الكافى فى قلة ما يروى عن الرسول، وكثرة ما يروى عن الأئمة والكل حديث فى نظرة.

٤.٣ – كتابا (التهذيب) و(الاستصار) للفقيه المحدث المفسر شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م. الكتاب الأول يشمل أحاديث الأصول المذهبية، وأحاديث الأحكام العملية، أما التهذيب فإنه يختص بأحاديث الأحكام .

وليس معنى حديثنا عن هذه الأربعة أنه ليس هناك غيرها، بل إن هناك كتبا أخرى لمؤلفين ذوى منزلة كبيرة فى الحزب الإمامى، وإن لم تحظ مؤلفاتهم بمثل ما حظيت به هذه الكتب الأربعة. ومن هؤلاء : الشيخ المفيد (ت٤١٢هـ/١٠٢٢م) والسيد الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ/١٠٤٥م) والشيخ الطبرسى (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) والمحقق الحلى (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م) وابن المطهر الحلى (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) وغيرهم .

وقد كان اعتماد الحزب الإمامى على هذه الكتب التى تحوى ما روى من أحاديث، يعنى التزام العلماء بهذه الأحاديث واعتبارها أصلا ينبغى الوقوف عنده، بحيث لا يصبح للرأى مدخل فى الأحكام، إذ الأئمة وحدهم هم الذين يمكن أن يفتوا فيما يتجدد من أمور أو قضايا، لأنهم يتلقون الوحى الإلهى باستمرار، كما هو واضح من روايات الكلينى وغيره- على ما سبقت الإشارة اليه وإن كان الكلبينى قد أشار فى مروياته إلى جواز الاجتهاد، وبذلك خالف ما نقل عن الأئمة المعصومين من وجوب متابعتهم فى أحكامهم والوقوف عند فتاويهم، واستحالة تقليد غيرهم فى أمور الدين والدنيا .

وظل الحال على ذلك طيلة قرون، يجتهد من يجتهد على قلة ويلتزم بأخبار الأئمة من يلتزم على كثرة ٠

حتى جاء القرن السابع عشر الميلادى، فاحتدم الصراع بين الجانبين، وتزعم جانب الإخباريين أى الذين يقولون بالالتزام بما روى عن الأئمه، الشيخ محمد أمين الاسترابادى (ت١٦٢٧م) فقد ذهب إلى إبطال الاجتهاد، وعزا هذه البدعة إلى الكلينى، غير أن المعركة انتهت بانتصار جبهة الأصوليين الذين يقولون بالاجتهاد وذلك على يدى أية الله محمد باقر، المعروف بالواحد البهبانى (١٧٠٥ - ١٧٩١م)٠ وأصبح على جمهور الشيعة أن يقلد أحد المجتهدين من العلماء، على وجه الضرورة والإلزام، وهذا يعنى تعدد المجتهدين، وتعدد شرائح المقلدين لهم، بحيث لا يجب الرجوع إلى مجتهد واحد ٠

وفى منتصف القرن التاسع عشر اتفق العلماء على ان يكون هناك مرجع واحد ، تكون له (المراجعية المطلقة)(١)٠

## مبادىء الحزب الإمامى السياسية والعقدية :

من الواضح لدى الحزب الإمامى، كما كان الحال عند الحزب الإسماعيلى أن المبادىء السياسية والعقيدية شىء واحد فلا إيمان إلا بالسياسة ولا سياسة إلا بالإيمان(٢)٠ وهذا يتضح مما سنعرضه من هذه المبادىء ٠

---

(١) د/ عرفان عبد المجيد فتاح : نظرية ولاية الفقية، ص ٢٣ - ٢٥ ٠

(٢) الكلينى : فى أصول الكافى، جـ١، ص ١٨٠، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٥ ٠

## أولا : الإمامة :

ليست الإمامة عند هذا الحزب مجرد منصب يتصل بالأمور السياسية المصلحية الدنيوية، ومن ثم فليس الإمام مجرد فرد عادى من بين المسلمين،لأن الله تعالى هو الذى أختار عليا وأبناءه لهذا المنصب بوحى من الله إلى النبى الذى بلغه بالرغم من كتمان الصحابه لذلك التبليغ، وتدليسهم، وتحريفهم – نعوذ بالله من هذا الاتهام – .

ولم يقف الأمر عند حد النص على الأئمة، بل إن هؤلاء الأئمة قد خلقوا من نور، أرواحهم وأبدانهم، وأنهم كانوا قبل خلق العالم أرواحا تحف بالعرس(١)، ومن ثم فقد فوض الله لهم أمر الكون يتصرفون فيه نيابة عنه(٢)، فهم خزان علمه، وهم حجة الله على خلقه .

وقد ترتب على ذلك أن جعلوا الإمام مساويا للنبى صلى الله عليه وسلم فى علمه(٣)، إذ إن الوحى لم ينقطع بموته، بل ظل ينزل على الأئمة من بعده – كما سبق – بل إن قولهم بالولاية التكوينية الخاصة بالأئمة تجعل الإمام أعلى قدرا من النبى، فالرسول قد حددت مهمته فى التبليغ، بقوله تعالى " ليس عليك هداهم(٤) " وقوله " ليس لك من الأمر شىء "(٥)، وقوله " ما على الرسول إلا البلاغ "(٦).

---

(١) المرجع السابق : ص ٣٨٩، ٣٩٠ .

(٢) الخمينى : الحكومة الإسلامية، نشر الدكتور حسن حنفى، د.ت.، ص ٥٢ .

(٣) الكلينى : فى أصول الكافى، جـ١ ص ١٩٦، ١٩٧ .

(٤) البقرة : ٢٧٢ .

(٥) آل عمران : ١٢٨.

(٦) المائدة : ٩٩.

كما أن علماء الحزب أعلنوا صراحة أن الإمام أفضل من الأنبياء السابقين على محمد(١).

وقد ترتب على هذه العقيدة أنهم ذهبوا إلى أن جميع الصحابة الذين اختاروا أبا بكر وعمر وعثمان فضلا عن هؤلاء الثلاثة مغتصبون أفاقون، منافقون، فاسقون، كافرون(٢). ناهيك برأيهم فى جميع الخلفاء الأمويين والعباسيين .

## ثانيا : عصمة الأئمة :

يذهب علماء الحزب الإمامى إلى أن الأئمة الأثنا عشر معصمون من الذنوب كبيرها وصغيرها، وعن الخطأ والجهل والنسيان(٣)، فلا يجوز عليهم شيء من ذلك، مع أن القرآن لم يدع هذا بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم اذ يقول " واذكر ربك إذا نسيت "(٤). والتعبير بإذا الشرطية يوحى بتأكيد حدوث النسيان للنبى أما غير الأئمة الإثنى عشر، من الذين تناسلوا من على فهم ليسوا على الحق، بل على الباطل .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٢٣ .

(٢) الخمينى : كشف الأسرار، ص ١٢٦، ١٣١، ١٣٥، ١٣٧، ١٧٥، ١٧٦ .

وانظر : على بن فضل الله الجيلانى : توفيق التطبيق، تحقيق الدكتور مصطفى حلمى، د.ن، د.ت، ص ٣٨ - ٤٤ .

وانظر الكلينى : فى أصول الكافى، جـ١، ص ١٩٥ .

(٣) الشيخ محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية، النجف، دار النعمان، د.ت، ص ٦٧ .

(٤) سورة الكهف : ص ٦٧ .

وقد تولى ابن تيمية الرد على الشيعة فى هذه النقطة بالذات، مستشهدا بكلام للإمام على " إياكم والغلو فينا، قولوا : إنا عباد مربوبون، وقولوا فى فضلنا ما شئتم " كما تبرأ على بن الحسن رضى الله عنهما من الغلو، ومن أصحابه فى وضع سلالة سيدنا على رضى الله عنه وضعا يفوق البشرية، ويعلو قيم الإنسان، فيما يروى عنه : " إن اليهود أحبوا عزيزا، حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عزيز منهم ولا هم من عزيز، وإن النصارى أحبوا عيسى، حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عيسى منهم، ولا هم من عيسى، وإنا على سنة من ذلك، إن قوما من شيعتنا سيحبوننا، حتى يقولوا ما قالت اليهود فى عزيز، وما قالت النصارى فى عيسى بن مريم فلا هم منا ولا نحن منهم "(١).

## ثالثا : المهدية والرجعة :

إن قضية عودة المهدى ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا قضية مثارة منذ بداية التشيع، وكان أول من نسب إليه القول بالرجعة هو عبد الله بن سبأ(٢)، زعم أن عليا لم يقتل، وإنما الذى قتل هو شيطان تمثل فى صورته، وأن عليا صعد إلى السماء، كما صعد عيسى بن مريم وأنه سيعود مرة أخري. وهكذا نجد تكرار هذه الفكرة مع جماعات شيعية كثيرة، نسبوها إلى أئمة من نسل على، فالكيسانية زعموا أن محمد بن الحنفية، لم يمت، وأنه يعيش فى سرداب أو كهف فى جبل رضوى وعنده عينان

---

(١) الدكتور محمد البهى : الفكر الإسلامى فى تطوره، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨١م، ص ٣٩، ٤١ .

(٢) د/ على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ٢، ص ٢٤، ٢٥ .

إحداهما تفيض عسلا، والثانية تفيض ماء، وأنه سيعود ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا ولذلك يقول شاعرهم :

وسبط لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

والعجيب أن البخارى ومسلم لم يرويا أى حديث عن المهدى المنتظر، أما غيرهما من أصحاب كتب الحديث السنيين فقد أوردوا عدة أحاديث فى ذلك. وغالبية أهل السنة يعتقدون بخروج مهدى آخر الزمان، ومن ثم يشاركون الحزب الإمامى بوجه عام فى هذا الأمر، ولكن الفارق، أن الشيعة يحددون المهدى فى محمد بن الحسن العسكرى، أما السنة فإنهم يجعلونه من آل البيت كما هو مقتضى الروايات عند ابن ماجه وأبى داود وغيرهما.

وإذا ما حاولنا مناقشة مسألة المهدية من الوجهة العقلية، نجد أن العقل لا يحيل أن يعيش إنسان الاف السنين. فالقرآن يخبر أن نوحا عاش تسعمائة وخمسين عاما، وأهل الكهف عاشوا ثلاثمائة وتسعة أعوام.

لكن إذا ما حاولنا استلهام الروح الإسلامية العامة، وجدنا أن هذه الفكرة مخدرة أكثر منها مشجعة، فالإسلام أنشأ حضارة ذات عناصر من شأنها أن تجعل المسلمين أقوياء إذا ما تمسكوا بها، وعملوا على تطويرها، أما إذا استناموا إلى أن رجلا سيظهر آخر الزمان من أجل الإصلاح، فسيكون ذلك أدعى إلى التراخى والتواكل اعتمادا على ما سيفعله المهدى.

وإذا حاولنا أن نتغاضى بعض الشىء عن صحة الرواية، ونظرنا إلى تلك الأحاديث من حيث الدراية، وجدنا أن بعضها قد فصل تفصيلا على أحداث تاريخية، وقعت بالفعل. فهناك حديث رواه بن ماجه فى باب الفتن يذكر أن المهدى سيظهر عند البيت، وأن جيشا من الشام سيزحف للهجوم

على البيت، وأن الأرض ستنخسف حتى لا يصل إلى البيت ونظره عجلى إلى مضمون الحديث نجد أنه ينطوى على ما حدث لعبد الله بن الزبير، وزحف الحجاج بجيشه إلى مكة، وكان هذا الحديث يومذاك مثارا للنقاش ٠

وعلى كل فلم يختص التراث الإسلامى بهذه الظاهرة، بل سبق إلى ذلك اليهود والنصارى ٠

## رابعا : البداء :

البداء هو الظهور بعد الخفاء، فكأن الشىء كان خفيا ثم ظهر أمام الإنسان، أو أن الإنسان كان له رأى فى موضوع معين ثم ظهر له وجه آخر، قال الشاعر :

لو على العهد لم يخفه لدمنا ثم لم يبد لى سواه بداء (١)٠

وقد استخدمت المادة فى القرآن الكريم بهذا المعنى قال تعالى : " وبدا لهم سيئات ماكسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون "(٢)، وقال : "وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون"(٣)٠

وهذا البداء بالنسبة للإنسان شىء معقول ومقبول، لأن الإنسان قد يظهر له من الأمر شىء، ثم يظهر له شىء آخر مخالف، وهذه طبيعة الفكر البشرى ٠

---

(١) ابن منظور : لسان العرب، القاهرة، دار الكتب المصرية، جـ١٤، ص ٤٦ ٠
(٢) سورة الزمر : ٤٨ ٠
(٣) سورة الزمر : ٤٧ ٠

أما أن يكون هذا البداء منسوبا لله، فهذا ما لا يمكن أن يقبله مسلم يعتقد في الله كل صفات الكمال، وينفى عنه كل صفات النقص .

والشيعة الإمامية يعتقدون بجواز البداء على الله، لأنهم ادعوا لأئمتهم علم الغيب والتنبؤ بالمستقبل، وينسبون إليهم أنهم تنبأوا بأشياء، فإذا لم تحدث هذه الأشياء، نزهوا الإمام عن الكذب، وألصقوا ذلك بالله على اعتبار أنه تبين له شيء لم يكن فى حسبانه، وأن الله هو الذى غير، أما الإمام فلا يمكن له أن يكون جاهلا، أو كاذبا . والحزب الإمامى ليس هو الذى ابتدع هذا المبدأ، بل سبقه إلى ذلك بعض المغامرين ممن التفوا حول محمد بن الحنفية من أمثال المختار بن أبى عبيد الثقفى (ت٦٧هـ) فقد نسب إليه المؤرخون أنه كان يدعى علم الغيب، فإذا صدقه الواقع فبها، وإلا، قال : إن الله بدا له أن يغير إرادته(١).

وقد روى رجال الحزب الإمامى عن جعفر الصادق أنه عدل فى النص على الإمامه من إسماعيل ابنه، إلى موسى الابن الآخر بعد أن مات إسماعيل فى حياته، والمعروف أن تعيين الإمام من الله عندهم، ولذلك يقولون على لسان جعفر الصادق "مابدا لله فى شيء، كما بدا له فى إسماعيل إبنى"(٢).

---

(١) الشهر ستانى : الملل والنحل،جـ٢، ص ٢٣٧، ٢٣٩ .

(٢) ابن بابويه القمى : كمال الدين وتمام النعمة، طهران، ١١٩٥هـ، ص ٦٩ .
وانظر النويختى : فرق الشيعة، ص ٦٤ .

ولما وجه البعض نقدا إلى الشيعة الإمامية بهذا الخصوص دافع الخمينى عن هذا المبدأ دفاعا مشوبا بالاحتقار للناقد إذ يقول " والإمام – بأمر من الله – يختار إسماعيل للإمامة، وذلك لأهداف خفية لا ندركها نحن، ثم يتم انتخاب موسى بن جعفر للإمامة. الجاهل يتصور أن الله رجع عن عزمه، ولكن الله كان منذ البداية يرى المصلحة فى انتخابه لعدة أيام، ثم يصدر بعد ذلك أمره الإلهى الآخر، الذى كان منذ البداية عاقدا العزم عليه " ثم يضيف " هذا هو أحد معانى البداء "(١). أما المعنى الآخر فيمثل له بقيام الإمام الحسين بالثورة على الأمويين، فيقول " رب الأرباب منذ البداية كان ينوى بأن يجعل إمام ذلك العصر قائما –فيما إذا لم تقع واقعة كربلاء– لكنه منذ الأزل كان يعرف بأنها ستقع، ولذا فإن أى خلل لم يحدث فى عزمه، ولم ينل علمه أى نقص "(٢). والخمينى هنا يتناقض إذ يذهب إلى أنه كان يريد، لولا أن مصرع الحسين حدث، فعطل هذا الحادث إرادة الله مع أنه كان فى علم الله. أن مصرع الحسين سيقع، فهناك إذن تعارض بين العلم والإرادة .

## خامسا : التقيـة :

معناها فى اللغة من الوقاية مثل التقوى، لأن التقوى تقى صاحبها عذاب الله. ولذلك كانت التقية عند الحزب الإمامى معناها إظهار غير الواقع، أو إظهار ما ليس فى القلوب من عقائد. وإذا كان الدافع إليها

---

(١) الخمينى : كشف الأسرار، ص ١٠٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٠٣ .

الحفاظ على النفس فلا بأس بها، ولا يكون ذلك إلا مع الكفار، فإذا خاف المؤمن على نفسه أن يزهقها الكفار فأضطر من أجل ذلك إلى كتمان إيمانه خوفا على حياته فلا حرج فى ذلك، خاصة أن عمار بن ياسر قد سب محمدا صلى الله عليه وسلم أمام كفار مكة حين رأى عزمهم على قتله، كما قتلوا أمه وأباه. ثم شعر بالندم بعد ذلك وحسب أنه ارتكب جرما شنيعا، وذهب إلى النبى يبكى، فنزل قوله تعالى " إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان "(١)، كما أن هناك آيات غير ذلك تبيح كتمان الإيمان وإظهار الكفر فى محضر الكفار، إذا خيف منهم على حياة المسلم كقوله تعالى : " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاه "(٢).

أما أن يظهر رجال الحزب الشيعى الإمامى غير ما يبطنون بمحضر من غيرهم من المسلمين، فليس هذا بمقبول، لأن السلطة السياسية لم تعاقب أحدا لمجرد أنه شيعى، بل لقيامه فى وجه السلطة حتى ولو كان من المقربين إليها، كما حدث فى مصرع الوليد بن يزيد بن عبد الملك، والأمين والمأمون، ومن إليهما. والعجيب أن يتقول رجال الحزب الشيعى على الأئمة بأن التقية هى دينهم ودين آبائهم(٣)، بمعنى إخفاء التشيع أمام السنى، وهذا لا تفسير له سوى النفاق، اللهم إلا إذا كانوا يعتقدون أن أهل السنة على غير

---

(١) سورة النحل. قيل إنها نزلت فى عمار، وقيل فى غيره، انظر ابن الجوزى : زاد المسير فى علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامى، جـ٤، ص ٤٩٥، ٤٩٦ .

(٢) سورة آل عمران : ٢٨ .

(٣) الخمينى : الحكومة الإسلامية، ص ١٤٢ .

الاسلام. والحق أنهم يعتبرونهم كذلك، بمقتضى ما ذكره الخمينى فى كتابه (تحرير الوسيلة) إذ أجاز نكاح الشيعى للكتابية، ومنعه من زواج الناصبة والناصبة عندهم من أهل السنة(١).

***

وبعد فهذه جملة مبادىء الحزب السياسية العقدية، وهى كما رأينا لا يمكن فصل السياسة فيها عند الدين. وبذلك يمكن القول إن الدين والسياسة عند هؤلاء قد تحولا إلى كهانة وأسرار، كما هو واضح بعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران، على يد أحد زعماء الحزب الإمامى، وهو روح الله الخمينى. وللأسف خدع كثير من عناصر الاتجاه الإسلامى فى العالم العربى. مع أن هذه الثورة يمكن أن تسمى ثورة شيعية إمامية اثنا عشرية، أما أن هذه تسمى إسلامية، فإن فى ذلك تجاوزا كبيرا للحقيقة. بعد أن عرضنا للأحزاب السياسية فى الإسلام ورأينا وجهات النظر فيما يدور حول الإمامة أو الخلافة أو السياسة .

---

(١) الخمينى : تحرير الوسيلة، بيروت، دار المنتظر، ١٩٩٢م، جـ١، ص ٣٥٢ .

# المصادر والمراجع

## أولا : المصادر والمراجع العربية والمعربة :

القرآن الكريم

صحيح البخارى

صحيح مسلم

سنن ابن ماجه

سنن ابى داود

**١- الآمدى ، سيف الدين على بن محمد :**

أ - الاحكام فى أصول الأحكام ، القاهرة ، مكتبه صبيح ، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٨م.

ب - غايه المرام فى علم الكلام - تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

**٢ - ابن الأثير**

الكامل فى التاريخ ، القاهرة، مطبعة بولاق ، د. ت .

**٣ - ابن بابويه ، محمد بن على بن الحسن :**

كمال الدين وتمام النعمة ،طهران ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

**٤ - ابن الجوزى ، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن :**

زاد المسير فى علم التفسير ، بيروت ، المكتب الاسلامى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

**٥ - ابن خلدون ، أبوزيد ولى الدين عبد الرحمن :**

أ - المقدمة ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، د.ت ٠

ب - المقدمة ، بيروت ، دار ومكتبة الهلال ،١٤٠٦هـ-/١٩٨٦م٠

**٦ - ابن سعد ، محمد كاتب الواقدي :**

الطبقات الكبرى ، القاهرة ، لجنة نشر الثقافة ، ١٣٥٨هـ

**٧ - ابن طباطبا :**

الفخرى ، تحقيق على الجارم وآخر ، القاهرة ، ١٩٣٨م٠

**٨ - ابن عبد المحسن ، عبد المحسن بن عبيد :**

مختصر مناقب الإمام أحمد بن حنبل لأبى الفرج بن الجوزى ، الرياض ، د.ت٠

**٩ - ابن منظور :**

لسان العرب ، القاهرة ، دار الكتب المصرية .

**١٠- ابن النديم :**

الفهرست ، ليبزج ، ١٨٧٢م٠

**١١- ابن هشام :**

السيرة ، القاهرة ، المكتبه التجارية الكبرى ، د .ت ٠

**١٢- ابو شهية ، الدكتور محمد محمد :**

فى رحاب السنة ، القاهرة مطبعة الأزهر ، ١٩٦٩م٠

**١٣- أدهم ، على :**

الجمعيات السرية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٤م٠

**١٤- الأشعرى ، أبو الحسن على بن إسماعيل :**

أ- الإبانه عن أصول الديانة ، تحقيق الدكتورة فوقيه حسين ، القاهرة ، دار الأنصار ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

ب - مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين ، تحقيق هـ. ريتر، استنبول ، مطبعة الدولة ، ١٩٢٩م.

جـ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

**١٥- الأموي . عدي بن مسافر :**

اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق محمد على إلياس العدوانى وإبراهيم النعمة ، بغداد، رئاسة ديوان الأوقاف ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

**١٦- الإيجى ، عضد الله والدين القاضى عبد الرحمن بن أحمد:**

المواقف فى علم الكلام ، القاهرة ، مكتبة المتنبى ، د.ت.

**١٧- البغدادى ، عبد القاهر بن طاهر :**

أ - الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد بدر ، القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩١٠م.

ب - الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، القاهرة ١٩٤٨م.

**١٨- البهى ، الدكتور محمد :**
الفكر الإسلامى فى تطوره ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
**١٩- البيهقى ، الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين :**
الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٠٦هـ / ١٩٨٦م.
**٢٠ - تامر ، عارف :**
مقدمة تحقيق كتاب ( البيان لمباحث الإخوان ) للداعى أبى منصو اليمانى ، سليمة - سوريا ، ١٩٥٦م.
**٢١- التفتازانى ، سعد الدين عمر :**
شرح مقاصد الطالبين فى علم أصول عقائد الدين ، استنبول ، مطبعة الحاج محمد أفندى البسنوى ، ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٥م.
**٢٢- الجرجانى :**
التعريفات ، القاهرة ، الحلبى ، ١٩٣٨م.
**٢٣ - جوزى ، بندلى :**
تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ، ترجمه خليل سكاكينى، القدس،مطبعة بيت المقدس ،١٩٢٨م.
**٢٤- حسين ، الدكتور محمد كامل :**
طائفة الإسماعيلية ، القاهرة ، مكتبه النهضة المصرية ، ١٩٥٩م.
**٢٥ - حنفى ، الدكتور حسن :**
قضايا معاصرة فى فكرنا المعاصر ، بيروت ، دار التنوير،١٩٨١م.

٢٦ -الخمينى ، روح الله:
أ - تحرير الوسيلة ، بيروت ، دار المنتظر ، ١٩٩٢م.
ب - الحكومة الإسلامية ، نشر الدكتور حسن حنفى ، د.ت.
جـ كشف الأسرار ترجمة الدكتور البندارى ، عمان، دار عمار،١٩٨٨
٢٧- الدسوقى ، عمر :
إخوان الصفا ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٤٧م.
٢٨ - دى بور ، ت .جـ :
تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة الدكتور أبو ريده ، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٤م.
٢٩ - الديلمى :
قواعد عقائد آل محمد ، تقديم محمد زاهد الكوثرى ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٠م.
٣٠ - الرازى ، فخر الدين محمد بن عمر :
أ - اعتقاد فرق المسلمين والمشركين ، تحقيق الدكتور على سامى النشار، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٨م.
ب - معالم أصول الدين - بهامش ( محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ) القاهرة ، المطبعة الحسينية ، ١٣٢٣هـ / ١٨٩٣م.
٣١- الريس ، الدكتور / ضياء الدين :
أ - عبد الملك بن مروان ، القاهرة ، المؤسسه المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٢م.
٣٢- زويمر :
الغواص واللآلى ، القدس ، ١٩٢٦م.

**٣٣- شلتوت ، الشيخ محمود :**

الإسلام عقيدة وشريعة ، القاهرة ، الإدارة العامه للثقافة الإسلامية بالأزهر ، ١٣٧٩ه / ١٩٥٩م.

**٣٤ - الشهرستانى ، أبو الفتح محمدعبد الكريم بن أبى بكر أحمد :**

أ - الملل والنحل ، تحقيق أحمد فهمى محمد ، القاهرة ، مكتبه الحسين التجارية ، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨ م.

ب - الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، القاهرة، الحلبى ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م.

**٣٥ - الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير :**

تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧م.

**٣٦ - عبد الرازق ، الشيخ على :**

أ - الإسلام وأصو الحكم ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٢٥.

ب - الإسلام وأصول الحكم ، نقد وتعليق الدكتور ممدوح حقى ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د.ت.

**٣٧ - عبد النور ، حبور :**

إخوان الصفاء ، بيروت ، ١٩٥٤م.

**٣٨ - عنان ، محمد عبد الله :**

الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٨٣م.

**٣٩ - العوا ، عادل :**

منتخبات إسماعيلية ، دمشق ، الجامعة السورية ، ١٩٥٨م

**٤٠ - الغرابى ، على مصطفى :**

تاريخ الفرق الإسلامية ، القاهرة ، صبيح ، د.ت.

**٤١- الغزالى ، الإمام محمد بن محمد :**

أ - الاقتصاد فى الاعتقاد ، القاهرة ، مكتبة الجندى ، ١٩٧٢م

ب - فضائح الباطنية، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، الدار القومية ، ١٩٦٤م.

جـ - القسطاس المستقيم ( مجموعة القصور العوالى ) القاهرة مكتبة الجندى ، د.ت .

د - المنقذ من الضلال ، القاهرة ، مكتبة الجندى ، د. ت .

**٤٢- فتاح ، الدكتور عرفان عبد الحميد :**

نظرية ولاية الفقيه ، عمان ، دار عمار ، ١٩٨٨م

**٤٣ - فلهوزن، يوليوس :**

الخوارج والشيعة ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٨م.

**٤٤- كرم ، الدكتور يوسف :**

تاريخ الفلسفة الحديثة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٧م.

**٤٥ - الكرمانى ، أحمد حميد الدين :**

راحة العقل ، تحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد مصطفى حلمى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، د.ت .

**٤٦ - الكلينى ، أبو جعفر محمد بن يعقوب :**

الأصول من الكافى ، بيروت ، دار الأضواء ، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م

**٤٧- الكوثرى ، محمد زاهد :**

مقدمة تحقيق كتاب ( كشف أسرار الباطنية ) لمحمد بن مالك

اليمانى ، القاهرة ، مطبعة الأنوار ، ١٩٣٩م٠

٤٨ – **الماوردى ، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب :**

الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، القاهرة ، الحلبى ،١٣٩٣هـ/١٩٧٣م٠

٤٩ – **المجلس :**

بحار الأنوار ، طهران ، د.ت .

٥٠ – **المظفر ، الشيخ محمد رضا :**

عقائد الإمامية ، النجف ، دار التعاون ، د.ت ٠

٥١ – **الموسوى ، الدكتور موسى :**

الشيعة والتصحيح ، د.ن . ،١٩٨٨م٠

٥٢ – **النشار ، الدكتور على سامى :**

نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٥م٠

٥٣ – **نعمان ، الشيخ محمد منظور :**

الثورة الإيرانية فى ميزان الإسلام ، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم ، القاهرة ، مطبعة عبير للكتاب ، ١٩٨٦م٠

٥٤ – **النوبختى ، أبو الحسن :**

فرق الشيعة ، تحقيق هـ٠ ريتر ، استنبول ، مطبعة الدولة ، ١٩٣١م٠

٥٥– **النووى ، محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف :**

مقدمة شرح صحيح مسلم ، القاهرة ، مطبعة حجازى ، د.ت٠

## ثانيا : المراجع الأجنبية :

1- Ali,Ameer: A short History of Saracens, London, 1943.
2- Arnold, T.: The Caliphate, Oxford, 1924.
3- Ivanow, W.: The Aleged Founderof Ismailism, Bombay, 1946.
4- Ivanow, W.: Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids, Oxford, 1942
5- Macdonald,. D.B.: Development of Muslem Theology, New York, 1903.
6- O'Leavy, Delacy: A short History of the Fatimid Kalifate, London, 1923.
7- Vatikiotis, Panayiotis I.: The fatimed Theory of State, Kashmiri Basar, First Edit.
8- Watt, M.: The Significance of the Early Stages of the Shi'ism in the book ( Religion and Politics in Iran), Yale University Press,1983,Chapter 2.

## فهرس الموضوعات

